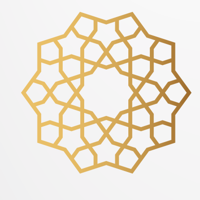
ضبط العلم

حقيقته، أقسامه، وسائله، ومعوقاته



لفضيلة الشيخ

أ.د. إبراهيم بن عامر الرحيلي





حَقِيقَتُهُ، أَقسَامهُ، وَسَائِلهُ، وَمُعوِّقَاتهُ

لفضيلة الشيخ

أ.د. إبراهيم بن عامر الرحيلي



00966 58 308 8912 rehyli


http://www.al-rehaili.net


بسم الله الرحمن الرحيم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إنَّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ نبينا مُحمَّدًا عبده ورسوله، اللهم صلِّ وسلم وبارك على عبدك ورسولك مُحمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أمَّا بعدُ:

فأرحب بالإخوة الحضور في هذه الدورة المباركة، التي طرقت هذه الموضوعات العلمية المتعلقة بطلب العلم، وآدابه وثمراته، وما يتعلق بذلك من مسائل.

وموضوع حديثنا في هذه المحاضرة هو: «**ضَبطُ الْعلمِ، حقِيقتهُ، أقسَامهُ، وسائِلهُ، ومُعوِّقاتهُ**». وهذا الموضوع ينبغي أن يُدرك قبل أن نبدأ بالحديث عنه، **فضبط العلم ليس المقصود** بذلك هو ما يُعنى به الطالب المبتدئ من الآداب التي يتحدث عنها العلماء في أدب الطالب المبتدي، وإنما حديثنا عن ضبط العلم، وقد قصدت هذا لأننا نلاحظ في هذا العصر الكثير من طلاب العلم قطعوا مرحلة جيدة في الطلب، ولكنهم لم يبلغوا ما يَصْبُونَ إليه من الضبط، وفي الحقيقة أنَّ هذا الأمر يحتاج إلى دراسة، كما يقول الآن: دراسة ميدانية تُعنى برصد الخلل، ودراسة الشرعية تُعنى بمعالجة ذلك من خلال النصوص.

ولا نقصد أيضا بالموضوع الحديث عن العلماء الراسخين الذين تجاوزوا الضبط إلى ما يسمى في لغة العصر بالإبداع والتفنن في العلوم، فهؤلاء لا يمكن الإحاطة بما وفقهم الله إليه من قدرات وفقه، ولكن نتحدث عن مرحلة متوسطة بين حال الطالب المبتدئ وبين

العالم الراسخ، نُريد طالب علم قد ضبط العلم، وبعد ذلك يشقُّ طريقه إلى مراحل فوق الضبط، وهو أن يكون عالمًا متمكنا مجتهدا، راسخ القدر في العلمِ، فعندما نتحدث عن هذا الموضوع لا يُمكن أن نُحيط بكل جوانبه، وقد ترددت كثيرا في وضع خطة لهذه المحاضرة ما ترددت قبلها في مثل هذا الموطن، لأنَّ الموضوع واسع ولو كُلف باحث بتأليف مجلد ضخم في هذا الباب لضاقت عليه الأوراق في استيفاء جوانب هذا الموضوع، فكيف بمحاضرة وكانت كلمة فطلبنا أن تكون محاضرة، لأن المحاضرة أوسع في اصطلاح الناس من الكلمة.

- نبدأ بعرض هذا الموضوع في خطة أرجو -إن شاء الله- أن تكون محققة لشيء من الغرض، فحديثنا سيكون عن حقيقة ضبط العلم، وعن أقسام ضبطه ووسائله، سنتحدث عن عدة جوانب من الضبط:

- **الجانب الأول: ضبط النية والقصد، وصدق التوكل على الله في طلب العلم ووسائل ذلك.**
- **الجانب الثاني: ضبط المنهج في طلب العلم، ووسائل ذلك.**
- **الجانب الثالث: ضبط فهمه وفقهه ووسائل ذلك.**
- **الجانب الرابع: ضبط نطقه والتحدث به ووسائل ذلك.**
- **الجانب الخامس: ضبط رسمه وخطه ووسائل ذلك.**
- **ثم نختم بالحديث عن عوائق طلب العلم.**

𝔖𝔒



الجانب الأول:
حقيقة ضبط العلم.

ما هو ضبط العلم؟ الضبط في المعنى الشرعي كذلك الاصطلاحي للعلماء يرجع إلى معنى لغوي ذكره العلماء، فجاء في المعاجم: ضبط الشيء حفظه بالحزم، ورجل ضابط **أي**: حازم، والضبط لزومك الشيء لزوما لا تفارقه يقال ذلك لكل شيء، **يعني**: من لازم شيئا يقال أنَّه قد ضبطه. **وقال ابن دُرَيد**: «ضبط الرجل الشيء يضبطه ضبطا إذا أخذه أخذا شديدا». **وقال أبو عُبيد** -في معنى الحديث لما سُئل عن الأضبط-، **قال**: «هو الذي يعمل بيديه جميعا، يعمل بيساره كما يعمل بيمينه». وهذا يرجع إلى المعنى الأول وهو: قوة الأخذ بالشيء، فالذي يعمل بيدَيه يقال أنَّه ضابط يعمل بيساره كما يعمل بيمينه.

فضبط العلم يرجع إلى هذا المعنى اللغوي، **فضبط العلم هو**: إتقانه والتمكن منه والخبرة به، وهو دون الرسوخ. **فالراسخ هو** الذي رسخت قدمه في العلم، **حتى قيل في الراسخ هو** الذي لا تُشكل عليه مسألة، وأما الضابط هو ضابط للعلم لكن قد عليه بعض المسائل، ولهذا نجد بعض العلماء الكبار توقفوا في مسائل وهذا لا يعني عدم الضبط، ولكن ما من عالم إلا وقد تخفى عليه بعض المسائل، أمَّا الرسوخ في العلم بحيث لا تخفى عليه مسألة فهذه مرتبةٌ عظيمة ليس الحديث عن هذه الرتبة العالية، لأنَّ مرتبة الرسوخ يصحبها من التوفيق والكرامات -أحيانا- ما يكون فوق الوصف، وما نقل شيخ الإسلام **ابن تيمية** أمور عجيبة في العلوم والتفنن وسعة الاطلاع وتحرير المسائل، حتى إني أقول في

نفسي كلمة، أقول: إنَّ قراءة كتب شيخ الإسلام **ابن تيمية** زهدتنا في قراءة في غيرها. وهذا بحق أجده في نفسي ويجده كل من قرأ كتب شيخ الإسلام، لأن طريقة شيخ الإسلام في التصنيف والكتابة وهو لم يتفرغ للتأليف، هذه الرسائل التي جُمعت في مجموع أكثرها فتاوى، حتى أنه يقول تضيق الورقة أحيانا عن الجواب، ومع هذا هي بهذا الإتقان.

۞ ننتقل بعد ذلك إلى أقسام ضبط العلم، وهذه المسائل التي ذكرت وهي خمس مسائل، كل رتبة منها تحتاج إلى ضبط:

- **أول هذه المراتب: ضبط النية.**
  - **النية يراد بها معنيان:**

- النية التي هي: الإخلاص وضدها الشرك والرياء بقسميه.
- والنوع الثاني: النية المميزة لعمل عن آخر.

وطلب العلم يفتقر إلى النوعين، يفتقر إلى الإخلاص لله في الطلب، بأن يطلب العلم لله، لا يراد به الدنيا، وهذا مطلب عزيز، وقد ابتلينا في هذه العصور بصوارف كثيرة صرفت النَّاس عن الإخلاص، وإذا كان العلماء قديمًا يشكون من ضُعف الإخلاص، حتَّى **قال بعضهم**: «ما وجدت شيئا عليَّ أعظم من النية لأنَّها تتقلب عليَّ»، وسئل الإمام أحمد عن طلب العلم: هل طلبتموه لله؟ **قال**: «أما لله فعزيز، ولكن شيء أحببناه فتعلمناه» إذا كان السلف على هذا الحال فكيف بنا في هذه العصور؟ العلم اليوم أصبح وسيلة للوظيفة، العلم أصبح وسيلة للشهادة، العلم أصبح وسيلة للدنيا، العلم أصبح وسيلة للشهرة، العلم أصبح وسيلة حتى لجمع الأموال، هذه أمور عظيمة، قديما كان لا يطلب العلم إلا من أراده، أما اليوم كثر طلاب العلم، وتنوعت مقاصدهم في طلبه، والناس اليوم لا يظهر لهم

من الناس إلا ما يبدو من الكلام الأفعال، وقد تلتمس معرفة بعض المقاصـــد بما ترى من بعض الآثار وبعض الأعمال التي تصـــدر ممن ينتســـب للعلم كتحريق الكتب أو بيعها بعد الحصـول على الشـهادة، أو إهدائها بعد التقاعد، **يعني**: عضـو هيئة تدريس إذا تقاعد يُهدي الكتب، كأن العمل انتهى بانتهاء الوظيفة، وهذا شـــيء خطير، إلا إذا كان اســتغنى عنها بغيرها، فقد وُجدت وسـائل الآن، نحن لا نشـكك في كل شــيء، ولكن هناك أمور خطيرة حقيقة، أن يتخلى طالب علم عن مكتبته وهو حي حتى مع كبر السن وقرب الأجل، لو بقي الإنســان يومًا هو مُحتاج إلى كتبه، ولا بأس أن يُوصــي بها بعد موته، **فالمقصــود** أنه كثرت الصـــوارف على العلم، وأصـــبح الناس يحتاجون اليوم إلى مزيد عناية وإخلاص في طلب العلم لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وهو أن يكون مخلصـــا في طلبـه، يبتغي بعلمـه وجـه الله، وهـذا هو الإخلاص، وضده الرياء والسمعة والشرك الأكبر والأصغر.

النوع الثاني: **النية المميزة للعمل**، كما أن العبادات كل عبادة لها نية مميزة عن الأخرى كذلك العلم، ولا يكفي أن يُخلص في طلب العلم حتى يســتحضــر النية المميزة لطلاب العلم، لم يطلب العلم؟ قد يطلب العلم مخلصـــا لله يريد أن يكون داعية، ترى هذا خلل، هذا خلل وإن كان يريد وجه الله، يطلب العلم مخلصـــا لله يريد أن يكون داعية، يريد أن يكون مدرسا، الأصل في النية في طلب العلم أن يطلب العلم لنفسه، ليرفع الجهل عن نفسه ويكون عابدا لله، لتحقيق الحكمة التي خلق من أجلها وهي قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦] حتَّى يعبد الله، فإذا حقق هذا لا بأس بعد ذلك أن يصـــحب الطلب، أن يتأهل للدعوة إلى الله عَزَّوَجَلَّ وهي خير عظيم، لكن لا ينبغي أن يكون قصده ابتداء بالطلب أن يكون داعية أو خطيبا أو مدرسا أو مُؤلفًا، وإنما يطلب العلم لنفسه،

ولهذا: **قال علي** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «هتف العلم بالعمل، فإن أجابه وإلا ارتحل» كانوا يرون العلم مرتبط في العمل.

وقال ابن المبارك رَحِمَهُ اللَّهُ: «أول العلم النية، ثم الاستماع، ثم الفهم ثم الحفظ ثم العمل ثم النشر» فقدم العمل على النشر.

وقال مالك ابن دينار: «من تعلم العلم لنفسه فالقليل منه يكفي، ومن تعلمه لحاجات الناس فإنَّ حاجات النَّاس لا تنتهي».

وقال ابن جماعة: «الإخلاص في طلب العلم هو حسن النية في طلب العلم بأن يقصد به وجه الله، والعمل به، وإحياء الشريعة، وتنوير قلبه، وتجلية باطنه، والقربى من الله تعالى يوم القيامة».

إذن: هذا هو الأصل في النية المميزة بأن يطلب العلم لنفسه، فإذا حققه لا بأس بعد ذلك أن يتأهل للدعوة إلى الله عَزَّوَجَلَّ، لأنَّه بلغ رُتبة العالم العامل، فبعد ذلك ينتقل إلى الدعوة إلى الله عَزَّوَجَلَّ، هذا ما يتعلق بضبط النية.

- **هناك جانب آخر بعد النية وهو متعلق: بالتوكل على الله والاستعانة بالله في تحصيل العلم،**

وإنما ذكرت هذه مع النية لأنها موازية للنية، وهذا الذي ينبغي أن يستحضره طالب العلم ابتداء قبل بذل الأسباب المادية أن يتوكل على الله وأن يستعين بالله في طلب العلم، لأنَّ هذا العلم هبة من الله، لا يُدركه الإنسان باجتهاده ولا بُمذاكرته، وكم من طالب علم طلب العلم فلم يُوفق إليه، وهذا كثير، فلو استعرضت تاريخ الأمة..، الذين طلبوا العلم كُثر، من الذي أثمر طلبه العلم وأثمر العلم العمل ونفع الناس؟ إلا قلة قليلة، ولهذا أرشد الله عَزَّوَجَلَّ

نبيه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو يتنزل عليه الوحي في قوله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ ۖ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤] سبحان الله، لاحظ هذه الآية، القرآن ينزل عليه ومع هذا يوجهه الله عَزَّوَجَلَّ أن يطلب المزيد من العلم، ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ ۖ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤] فكيف بمن لم ينزل عليه القرآن؟ هذا العلم اعترفت الملائكة، وهم أعرف الناس، أعرف الخلق بالله عَزَّوَجَلَّ، قالوا: لا علم لنا إلا ما علمتنا، وفي دعاء النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما جاء في حديث أم سلمة أنه كان إذا أصبح قال: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ عِلْمًا نَافِعًا، وَرِزْقًا طَيِّبًا وَعَمَلًا مُتَقَبَّلًا**» إذا كان هذا حال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فكيف بغيره؟ فلا بد من الاستعانة ولابد من التوكل على الله في الطلب، وكل سبب إذا لم يصحبه هذا الأمر فلا نفع فيه ولا خير فيه، ولهذا لا يستهين طالب العلم بهذين الأمرين وهما الإخلاص والتوكل على الله في طلب العلم، ويقول هذا أمر مفروغ منه، بل هو أساس الطلب ولهذا يُقدم على غيره.

❧❧



الجانب الثاني:

ضبط المنهج في طلب العلم.

فالعلم بحر لا ساحل له، ولا يمكن الإحاطة به، وكل عظيم إذا لم يصحب طلبه وضع منهج لذلك فإن الإنسان لا يمكن أن يُحصل هذا الشيء.

❊ **وهذه فائدة منهجية**: إذا أردت معرفة المنهج في أمر من الأمور لا بد من ضبط أركانه، لا يمكن أن تعرف الصلاة ومدى إتقان المُتعلم لها إلا بعرفة أركانها وواجباتها كذلك العلم له أركان، وهذه الأركان كل ركن منها مؤثر في المنهج في طلب العلم. **ما هي أركان العلم؟**

- متعلم.
- وعالم.
- وعلم متلقى.
- وطريقة التعليم. هذه هي أركان التعليم.

- **متعلم**: هذا الذي يطلب العلم.
- **عالم**: وهذا المعلم.
- **علم يتلقى**.
- **وطريقة التعلم**.

هذه الأركان كل ركن منها هو مؤثر في منهجية طلب العلم، فلو أخذنا الركن الأول

وهو المتعلم، هل المتعلمون على درجة واحدة؟ ليسوا على درجة واحدة. هل هم في الفهم والذكاء والقدرات على درجة واحدة؟ ليسوا على درجة واحدة.

- ولهذا من **الأخطاء المنهجية**

الآن أن بعض المنتسبين للعلم يضع منهجًا لطلاب العلم، حتَّى أنَّه يُسمي كتبًا معينة، ورأيت مرة منهجا محددّ الأوقات: بعد الفجر في ساعة كذا تقرأ كذا، والظهر كذا، والعصر كذا، في الليل كذا. وهذا حقيقة ما ندري ما نسميه، هذا رجل كأنه وضع منهج لنفسه فعممه على الناس، هل كل الناس لديهم وقت في الصباح ليقرأ أو في الظهر أو في المساء؟ ما يمكن. حتى الكتب لا يُمكن أن تُحجِّر واسعًا، والعلماء أحيانا يذكرون بعض الكتب النافعة في التوحيد وفي غيرها هذا من باب التمثيل، لكن ليس بالضرورة أنَّه لا دراسة للتوحيد إلا على كتاب كذا، فالمقصود هو نوع العلم، أن تدرس التوحيد، وأمَّا تعيين كتاب فهذا من باب مساعدة الطلاب الذين يسألون، وأما وضع منهج أنَّه لا فهم للتوحيد إلا بقراءة كتاب التوحيد للشيخ مُحمد بن عبد الوهاب هذا تحجير واسع، وإن كان هذا الكتاب هو أعظم الكتب وأنفع الكتب، ولكن قد لا يتيسر لطالب علم أن يحصل على هذا الكتاب، وإن حصَّل الكتاب لا يتيسر له أن يجد من يشرحه له، فيتوقف يقول: ما وجدت من يشرح كتاب التوحيد، ولو وُجِّهَ للمنهج الصحيح يأخذ كتابا آخر يتضمن المادة العلمية التي يريد وينطلق، شيخ الإسلام **ابن تيمية** لمّا سئل عن المنهج في طلب العلم وأن يُعين كتابا، قال: إن العلم واسع والكتب كثيرة، والناس يتفاوتون فيما يضبطون من هذه الكتب، قال: وإن كان المعروف عند العلماء أن كتاب البخاري هو من أنفع الكتب في جمع السنة. فإذن: المتعلم هو الذي يرسم منهجه، طالب العلم يعرف منزلته في العلم، ويعرف ما الذي

حصّـل؟ وأنا كما ذكرت ابتداء أنا أتكلم عن طالب العلم، طلب العلم وحصّـل منه قسـطا، لكنَّه يجد في نفسه رغبة في زيادة، ولربما أمضى سنين طويلة وهو لم يضبط العلم.

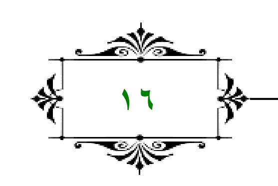
من خلال التدريس، في مرحلتي الماجسـتير والدكتوراه، تبين أن هناك خلل كبير، هذا الخلل قد لا يشعر طالب العلم الذي بلغ مرحلة الدكتوراه أنه تخفى عليه مثل هذه المسائل التي لا ينبغي أن تخفى على طالب الكلية، ما هو السـبب؟ عدم المنهجية. أصـبحنا اليوم مُقلدة، إذا أردت أن تطلب العلم حلقة فلان، ذهب الناس لها اذهب إليها، يُدَرَّس كتاب كذا ادرس الكتاب، قد تكون هذا الكتاب درسته عشر مرات، ولكن فيه مسائل أنت تحتاج إليها ليسـت في هذا الكتاب، فلماذا تُصـرُّ على أنَّه لا دراسـة لهذا الفن إلا طريق هذا الفن، استعرض الآن أنواع التوحيد: توحيد الربوبية، توحيد الأسـماء والصفات، توحيد العبادة. هل ضبطت المسائل كلها؟ قد تُوجد مسائل لم يذكرها ابن تيمية في الواسطية، ولم يذكرها في الحموية ولا في التدميرية، ومسائل في توحيد العبادة لم يذكرها شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب في كتاب التوحيد، فتبقى جاهلا لأنَّك لا تدرس إلا هذه الكتب، لابد أن تعيّن هذه المسائل وتدونها ثم تبحث عن الكتب التي حققت هذه المسائل وتدرس، مثل التاجر الآن لي لديك تجارة، ولديه بضائع وتجارته لا تنمو إلا بمتابعة ما يطلبه الناس، ويجلب ثم يبيع، وأنت الآن تطلب العلم ليس للناس بل للعمل، **يعني**: هل ضـبطت التوحيد؟ هل ضبطت مقاصد الشريعة في التفاضل في الأعمال؟ وهذا جانب عظيم جدا، **يعني**: ما أفضل العمل؟ وهذا إذا كان من حيث الإطلاق، هل هذا أفضـل العمل في حقك؟ هذه مسـألة مهمة، قد يكون هذا الذي يتكلف أن يُدرِّس قد يكون مجاله مجال آخر، وهذا الذي يخطب مجاله مجال آخر، فطالب العلم ينبغي أن يرسـم منهجه بنفسـه، يعرف تحصـيله، ويعرف

الخلل الذي لديه، ويعرف من هو وما الذي يحتاجه من العلم، وهذا لا يمكن لأحد أن يقدم لك منهجا إن لم تقم أنت بمراقبة نفسك وتعلم ما الذي ضبطت من العلم وما الذي يخفى عليك، لو سُلكت هذه الطريقة سيستفيد طلاب العلم من خلال هذه الوقفة، وقفة المتعلم مع نفسه ليرسم منهجه من خلال هذه المفارقة العظيمة، لأن شيخك قد يظن بك خيرا فيوجهك إلى كتاب مُطول أنت لا تفهمه، وقد يرشدك إلى دراسة مسألة لم تبلغها.

- **إذا ضبط هذا الأمر انتقل إلى المعلم.**

المعلم مؤثر أيضا في ضبط طالب العلم، وكما ذكرنا مسألة التقليد اليوم مسألة سائدة في كل شيء حتى في طلب العلم، ولهذا الذي يُحضر إليه في الحلق هو أكثر الناس في حضور الطلاب، وقد يحضر طالب العلم ويبقى سنين في هذه الحلقة ولو سألته عن مدى التحصيل قد يقول أنَّه ضعيف أو قليل، بينما لو ذهب لشيخ آخر قد ينتفع منه ما لم ينتفع بالأولى، ولا ينبغي أن يُظن أنَّه عندما نتحدث عن هذا الأمر أنَّ هذا قدح في العلماء، لا. قد يكون رجل عالم درسه يصلح لطبقة من طلاب العلم ولا يصلح لفلان، والخلل هُنا لم يأت من ضعف العالم، ولكن من علو طريقته عن فهم هذا الذي حضر، ولهذا قديما كانوا يجعلون الطلاب على مراحل، لا يحضر في مرحلة متقدمة حتى يتجاوز المرحلة السابقة، الآن كلٌ يحضر.

ولهذا بعض الناس الآن يقول: الآن تسمع الانحرافات وبعض الأمور الغريبة يُقال هذا طالب علم، يُقال: كيف حصّل؟ يقال: هو من طلّاب ابن باز من طلاب ابن عثيمين من طلاب الألباني، ولو كان من طلاب ابن باز، ليست العبرة أن يكون من طلاب ابن باز العبرة الضبط، فهذا نعم حضر في ابن باز لكن هل استفاد منه؟ هل كان حضوره في مسألة يفهمها؟



فالمقصود أنه لابد أن تعيّن العالم الذي تنتفع بعلمه.

وقديما كان يذكر عن أحد أهل العلم يحضر عند رجل ليس في شهرة غيره، فسُئل عنه قال: إني أجد قلبي عند فلان. كانوا ينظرون إلى العلم أنه يبلغ القلوب، ليس المقصود الشهرة وأن تحضر حتى تقول أنا من طلاب فلان، تحضر وتقوم من الحلقة وأنت قد انتفعت، وأن هذا العلم أثّر في قلبك، تقدمت مرحلة من مراحل الطلب، هذا يحتاج إلى وقفة صدق، يقف الإنسان مع نفسه، لا تكن مقلدا، ولا تقول: أنا أتهم نفسي. نعم اتهم نفسك، لكن قد يكون هذا الشيخ إما مستوى طرحه أو طريقته أو الكتاب الذي اختاره لا يتناسب معك، فأنت قد تحتاج إلى طريقة أخرى.

أيضا طرائق العلماء حتى في التعليم، ليس كل من حصّل العلم يكون مُدرِّسًا مُبرِّزًا في التدريس، ولهذا سيأتي الآن ضبط التدريس غير ضبط العلم، فبعض الناس لديه من العلم ما يُعد من كبار العلماء لكنه لا يصلح للتدريس، وبعضهم يُفتح عليه في التَّأليف، ولا يُفتح عليه في التدريس، وبعضهم يُفتح عليه في الخطابة والتَّدريس ولا يفتح عليه في التأليف، وبعضهم يُفتح عليه في الفهم، ولا يُفتح عليه في إخراج علمه، فلابد من تعيين المعلم.

- **الأمر الثالث المؤثر في المنهج: العلم المتلقى.**

فطالب العلم الذي حصّل قسطا من العلم يعرف ما الذي يحتاجه، فيُسدد ما بقي من ثغرات نقص في طلب العلم، **يعني**: بعض طلاب العلم يسمع في باب الأسماء والصفات بالسماع، وعلمه بباب الأسماء والصفات علم مُجمل، لو دخلت في عمق هذا التخصص لوجدت العجب، وهذا أمر عظيم يتعلق بالعلم بالله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، كيف يخفى على طلاب

العلم؟

سـألت في طلاب مرحلة الماجسـتير والدكتوراه المسـألة قد يُتعجب أنهم لا يعرفون جوابها، نحن الآن نعرف أن صـفات الله عَزَّوَجَلَّ منقسـمة إلى قسـمين: إلى صـفات ذاتية وفعلية. نردد هذا الكلام، كل طلاب العلم يعرفون هذا، فقلت لبعض الطلاب في بعض القاعات: هل الصـفة الفعلية تقوم بذات الله؟ توقف الكثير منهم، وبعضـهم إجابة خاطئة: قال: لا، لأنها مقابل الذاتية، وهذا في مراحل متقدمة، لأنَّ التقابل اللغوي ذاتية، فعلية. فمقتضى المعنى اللغوي أن الذاتية غير الفعلية.

وهكذا طالب قابلني في المسـجد النبوي وقال: أريد أن أؤلف في باب الأسـماء والصـفات، لاحظت أن لديه خلل كبير، قلت: على من طلبت العلم؟ قال: ما طلبته على أحد. سـتؤلف قبل أن تطلب العلم! قال: لا، أنا قرأت. قلت: ما الذي قرأت؟ قال قرأت: «الواسطية». سألته هذا السؤال: قلت: ما الفرق بين الصفات الذاتية والفعلية؟ قال: الذاتية الذاتية ذاتية والفعلية فعلية. قلت: أريد إيضـاح، اعتبرني الآن أني سـأسـتفيد منك، قبل أن تؤلف. فما اسـتطاع أن يجيب، الصـفة فعلية تقوم بذات الله، كيف تكون صـفة لا تقوم بالذات؟ لكن ما هو الضـابط في التَّفريق بين الذاتية والفعلية؟ **الذاتية**: ملازمة لذات الله كالعلم والقدرة، وأما النزول فهو صـفة تقوم بذات الله، من الذي نزل؟ الله عَزَّوَجَلَّ ينزل إلى السماء الدنيا، لكن هذه الصفة ليست ملازمة للذات.

سألنا بعض الطلبة ما معنى بلا كيف؟ هذه قواعد من باب الأسماء والصفات، فإذا بهم يظنون أن صفات الله ليس لها كيفية، هذا شيء خطير، والمقصود بـ: «لا كيف» في علمنا،

وإلا فكل صفات الله عَزَّوَجَلَّ لها كيفية.

فالمقصـــود: أنَّ هناك خلل، فإذا لم يقم طالب العلم بمعالجة نفســه، ومُراجعة علمه، ويعرف ما الذي ينقصـــه، لربما مات وهو لم يحصـــل العلم، والشـــواهد كثيرة لو أردنا أن نسترسل في الخلل الذي يوجد عند طلاب العلم المتقدمين فضلا عن الطلبة المبتدئين، إذا لابد من تعيين نوع العلم.

أنبه هنا لمسألة أخرى وهي: أن بعض الطلبة يُغرق في تعلم علوم الآلة، فيمضي سنين وهو يدرس عُلوم الآلة، ولربما تخصـــص فيها، وأفنى عمره وهو لم يبلغ العلوم التي هي المقصـــودة بهذه العلوم، فخذ من علم الآلة ما تفهم به الكتاب والســـنة، ولا بأس أن يكون هناك علماء متخصـــصـــون نحتاج إليهم، لكن عامة طلاب العلم إنما يحتاجون من هذه العلوم ما يفهمون به الكتاب والسنة.

- **بعد ذلك ننتقل إلى طريقة التَّعلُّم، طريقة التعلم طرق كثيرة، لكن الطرق المشـهورة تكاد تنحصر في خمس طرق:**

❁ **الطريقة الأولى:** هي طريقة التلقي عن الشـيخ، وهو أن يقوم الشـيخ بشـرح العلم وعرضـــه على الطلبة، وهذه طريقة مناســـبة للمبتدئين، الذين يلقّنون العلم، فيُلخص العلم ويلقى عليهم.

❁ **الطريق الثانية:** قراءة الكتاب على الشـيخ، وهذه الطريقة السـائدة في هذه العصـور وكثرت، أنَّه يُؤتى بكتاب ويُقرأ على الشيخ ويُعلِّق عليه.

❁ **الطريقة الثالثة:** قراءة الكتاب ثم سؤال الشـيخ عمَّا يُشكل، يقرأ الكتاب هو ثُمَّ بعد

ذلك يسأل الشيخ، وهذه طريقة مُتقدمة عن الطريق السَّابقة، قد يُريد أن يختصر الوقت لا يمكن أن يجلس سنة على استعراض كتاب مع الشيخ يقرأه ويفهمه، بقيت مسائل يسيرة يسأل عنها الشيخ وينتهي.

❁ **الطريقة الرابعة:** قراءة الكتب ثم مراجعة الكتب الأخرى لكشف ما يُشكل، هنا نلاحظ أنه استغنى عن الشيخ، وأصبح يقرأ والإشكالات التي تعرض له لا يعرضها على الشيخ وإنما يبحث عنها في الكتب الأخرى، وهذه مرحلة الاستغناء، **شيخ الإسلام ابن تيمية له كلمة يقول:** «من استغنى بنفسه خير من الذي يستغني بغيره». إذا وصلت لمرحلة أنك تكتفي بنفسك عن غيرك هذه مرحلة عظيمة، لكن الحذر من أن يبلغ الجهل ببعض الطلبة ألَّا يدري ولا يدري أنه لا يدري، هذه مشكلة، **يعني:** أقل ما يكون أن تعرف إذا كنت تحتاج لشيء يبين لك أولا تحتاج، لأن بعض الناس يقول: أنا بلغت هذه المرحلة، وهو في أوهام عظيمة، بل أنه ما بدأ بالمرحلة الأولى، بدأ بهذه المرحلة الرابعة، ويقول أنَّه يفهم هذه الكتب.

❁ **الطريقة الخامسة:** هي البحث في المطولات وتحقيق المسائل، وهذه طريقة العلماء المصنفين، **ولهم مقصدان:**

- **منهم** من يصنف لنفسه، فإذا أراد أن يحقق مسألة كتب فيها.
- **ومنهم** من يصنف للناس.

طالب العلم هو أدرى بنفسه وأعلم، في أي المراحل هو، هل أنت في المرحلة الأولى أو في الثانية أو الثالثة أو الرابعة أو الخامسة؟ وتحديد هذا المستوى لطالب العلم وهذا

يكون بأن يراجع نفسه، ويعرف نفسه ويقيم نفسه بنفسه، بحيث يحدد المستوى العلمي الذي هو فيه، ولا ينبغي أن يحول بينه وبين هذا أن يقول: بلغت من العمر ما بلغت، أوحصل على شهادات، أو أصبحت من أعضاء هيئة التدريس، وإذا صدق الإنسان مع نفسه فإنه يمكن أن يبلغ ما أراد من صدقه مع نفسه.



الجانب الثالث:
ضبط فهمه وفقهه ووسائل ذلك.

حقيقة هذا التقسـيم هو مبني على حقيقة معروفة عند أهل العلم وهي: مراتب وجود العلم، العلم أين يوجد؟ إما في صـدور العلماء، أو على ألسـنتهم، أو في كتبهم، من هنا جاء بناء هذا التقسيم، وهو أن تكون ضابطا للعلم بهذه المراحل.

ضبط فهمه وفقهه، وهو: أن يكون العلم في صدرك صحيحا، قبل أن تتكلم به وقبل أن تؤلف، ولهذا لو فتشت عمَّا في قلوب الناس من خلال السؤال واستعرضت المعلومات التي نعتقدها وهي موجودة في قلوبنا لرأيت العجب، ولكن هذا يظهر أحيانا أثناء النقاش، وأحيانا يستحي طالب العلم أن يتكلم في مسائل في حضرة بعض من يظن بهم أنهم بلغوا المراحل المتقدمة، وإذا به يُفجع ويُفاجئ بخلل كبير جدا في هذا الجانب، ونحن نتحدث عن مرحلة ينبغي طالب العلم أن يكون مُحققا لهذه المسائل، وكما ذكرنا في مرحلة تجاوزت الناس مرحلة الطلب، كثير من طلاب الدراسات العليا الذين مارسوا البحوث وكتبوا الرسائل لديهم قدرة على هذا الأمر إذا استعانوا بالله عَزَّوَجَلَّ.

- **ضبط الفهم يبنى على عدة أصول:**

- **الأصل الأول**: الإيمان الجازم بأن الحجة الواجبة الاتباع في عموم مسائل الشرع، ولا يجوز الخروج عنها هي: الكتاب والسنة والإجماع وسنة الخلفاء الراشدين والقياس

الصحيح.

عندما نقول: الإيمان الجازم هي كلمة مقصودة وليست لفظة تكون في السطور، لا يمكن لإنسان أن يبني علمه على أصل غير مستيقن عنده، والخلل الآن الموجود أنَّ الكثير من طلاب العلم مصدرهم في علومهم هي فتاوى العلماء، لا يعرف من العلم إلا فتوى العالم الفلاني، ولهذا فتوى عالم آخر تُزعزع هذه الثقة في صدره، نذكر بعض الشواهد المؤلمة، لكن لا بأس بذكرها لنعلم في أي عصر نحن:

أحد طلاب العلم في الدراسات العليا كان يعتقد أن إمامة السنة تكاد تنحصر في رجلين، وكان يقلدهما ويرتبط بهما ارتباطا وثيقا، فحصل بينهما خلاف، ورد أحدهما على الآخر، فصُدم هذا الشاب وبكى بكاء مريرا، ثم حدثني بعض زملائه، قال: والله لا ندري على أي شيء نحن.

انظروا إلى الخلل يكاد يشك في أصل دينه، وهذا مآل كل من بنى علمه على التقليد، **ولهذا العلماء يقولون**: إن التقليد محرم لا تبيحه إلا الضرورة، نحن الآن بيوتنا تغصُّ بالمجلدات والكتب، ومع هذا ليس هناك رجوع للأدلة ولا لكلام السلف، وإنما تؤخذ المسائل من أطرافها، قال فلان وقال فلان.

قرأنا كتاب السنة للخلّال في الله، وبقينا تقريبا خلال سنة ونحن نقرأ في مجلد يذكر فيه الخلَّال معتقد أهل السنة في الايمان، وأن الإيمان اعتقاد وقول وعمل، مجلد أو قريب من مجلد، حتى الطلاب ملّوا، كل الآثار ينقلها عن السلف في هذه المسألة، فلما رأيت الملل على بعض الطلاب، قلت: لماذا الخلَّال وهو عالم من العلماء يكرر؟ لماذا لم يكتفي بأثرين أو ثلاثة وننتهي؟ فقالوا: لماذا؟ قلت: يريد أن يُرسِّخ لديكم هذه المعلومة، هل

يوجد الآن شــك في أحد طلاب العلم عندما يقرأ خمس مائة أو ألف من العلماء كلهم يقولون: أن الإيمان اعتقاد وقول وعمل؟ هذا الذي كان يقصــده الســلف، وإلا كانت الأوراق أشق عليهم منها، والحبر أشق عليهم منها، وكانت مؤنتهم وأحوالهم بالنسبة لنا لا شيء، ومع هذا يُسطر مجلدا في هذه المسألة، لماذا؟ ليحصل لديك اليقين في هذا الأمر، ولهذا أقول: من أراد اليقين فليبني عِلمه على المصــادر اليقينية، وليس هناك يقين إلا بالكتاب والسنة والإجماع وسنة الخلفاء المرسلين والقياس الصحيح، وأما أقوال العلماء فيؤخذ منها ويرد، قد يكابر الإنسان ويقول: شيخنا عالم، شيخنا لا يشق له غبار، شيخنا الفهامة العلَّامة. هو يقول هذا بلسانه، لكن يعلم في قرارة نفسه أنَّ قول شيخه ليس بنص، ولهذا كل من بنى علمه على أقوال أهل العلم سيرد عليها يوم من الأيام الشك، خصوصا إذا وجدت الفتن واختلف الكبار هلك في هذا الصغار، إلى متى وأنت تعرض نفسك للفتنة لاختلاف العلماء ثم تأتي وتبكي وتقول والله لا ندري الحكم على من؟ لماذا لا ترتفع لتتجاوز هؤلاء إلى المصدر الذي أخذوا منه؟ تبني علمك على آية من كتاب الله، لا يمكن لأحد أن يشــككك في هذا الأمر لأنك تعلم من الأدلة عليك ما لو اجتمع الخلق كلهم الإنس والجن، لا يمكن أن يزعزعوك عن هذا الأمر، ولهذا شــيخ الإســلام ابن تيمية: «بالصــبر واليقين تنال الإمامة في الدين». ما معنى الإمامة في الدين؟ الإمامة في الدين أن يقف الرجل مع دين الله يذب عنه لا يبالي بمن عارضــه ولا يبالي بمن خالفه، من الذي يقف هذه الوقفة؟ رجل مقلد؟ ما يمكن. ولهذا كلنا ندرك الآن، أنا لو كنت مقلدا في مسألة من المســائل لشــيخي وجاءني عالم آخر وعارضــني لا أقوى على معارضــتي، فكيف إذا انضــم إليه ثالث ورابع وعشــرة من العلماء وقالوا: أنت وشــيخك مخطئ في هذا المســألة،

ستضعف، لكن إذا كنت تعلم على هذه المسألة الدليل لا يمكن أن يؤثر في هذا تشكيك الناس وستثبت على دين الله عَزَّوَجَلَّ.

- **الأمر الثاني**: ألا يتجاوز في الاستدلال الكتاب والسنة، المسألة الأولى هي مسألة اعتقادية أن تعتقد هذا في النصوص، وهذه المسألة عملية، ألا تتجاوز الاستدلال بالنصوص، لا تقل لا هذه المسألة يكفينا فيها قول العالم، كل المسائل الشرعية يجب أن تُستحضر فيها الأدلة الشرعية التي تدل على ثبوتها، إلا في حال العجز، إذا عجزت عن الطلب ولم تفهم المسألة فأنت تقلد من؟ أقرب الناس إليك؟ أو من بينك وبينه الصداقة؟ أو أعلم الناس؟ لا. أضبط الناس في هذه المسألة، لهذا ذكر الشاطبي يقول: «أن الهوى على بعض طلاب العلم في أن يقلد ما لا يستحق التقليد». كيف طالب علم يكون مقلد ويكون صاحب هوى وهو يسأل العلماء؟ يسأل عالما لأن له به علاقة وبينه وبينه صداقة أو قرابة أو من بلده، فإذا أشكلت عليك مسألة ينبغي أن تسأل من أعلم الناس في هذه المسألة، ومن أضبطهم في هذه المسألة فترجع إليه وتقلده، ﴿ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [النحل: ٤٣].
- **وممّا يُعتنى به في هذا الجانب**: الاحتجاج بالقراءات، وإنما أذكر القراءات لأنّ القراءات -كما هو معلوم- كل قراءة لها حكم الآية مستقلة، فإذا لم يطلع طالب العلم على القراءة الأخرى في هذه الآية الذي خفيت عليه آية من القرآن، ولهذا ينبغي أن يركز في الاستدلال إذا كانت هذه الآية موطن البحث فيها قراءات، لا بد أن تطلع على قراءات فيها، إذا كانت هذه القراءة متواترة فإنها في حكم الآية المستقلة، كقول الله تعالى: ﴿ بَلْ

عَجِبْتَ﴾ [الصافات:١٢] ﴿بَلْ عجبتُ﴾ هذه فيها إثبات العجب لله، وللنبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، فأثبتّ بالقراءتين مسألتين، ولو لم تطلع إلا على قراءة واحدة فأنت لا تثبت إلا مسألة واحدة، فالاحتجاج بالقراءات كالاحتجاج بالقرآن، ولكن تكون هذه القراءات من المتواتر الثابت.

- **مما يتعلق بالدليل الصحيح**: ألَّا يحتج بغير ما صحّ من السماع، والحذر من أن ينخدع بدعوى الاحتجاج بالأحاديث الضعيفة في فضائل الأعمال، والله هذا من أعجب العجب، **فضائل الأعمال ما هي**؟ عبادات يتقرب بها إلى الله، كيف يحتج لها بأحاديث ضعيفة؟ لكن هذه الكلمة **قال بعض المحققين**: أن الضعيف في اصطلاح المتقدمين هو: الحسن، أو الحسن لغيره. يعني: لا يرتقي إلى درجة الصحة، يقول: لا بأس أن يُؤخذ في هذه الأحاديث في فضائل الأعمال. **وبعضهم قال**: في فضائل الأعمال في بيان فضل الثواب لا أن تنشئ عملا جديدا، أمَّا أن تتعبد الله بعبادة لا تعرف عليها دليلا إلا حديثا ضعيفا فإنَّ هذا لا يجوز، هذه المسائل كلها متعلقة بصحة الدليل.

ويأتي بعد ذلك صحة الاستدلال، ولا يلزم من صحة دليل صحة الاستدلال، قد يكون الدليل صحيحا ولكن الاستدلال خاطئ، **كيف يضبط هذا؟ بعدة أمور**:

❁ **الأمر الأول**: التجرد في طلب الحق، عندما تريد أن تحقق مسألة ولك سابق علم في هذه المسألة، ودائما أنا أضرب مثالا لطلاب العلم، أقول: نحن نشأنا في هذه البلاد، أسمع وأنا صغير من والدي ومن أمي ومن شيخي ومن إمام المسجد ومن أقاربي وكل المشايخ أنَّ تارك الصلاة كافر، نشأنا وهذا الذي تعلمناه، الآن نزعم أنَّنا طُلاب علم، نريد أن نحقق

وجدنا خلافا في المسألة، بل قول الجمهور أن تارك الصلاة إذا كان مُقرا بوجوبها فإنه لا يكفر، فإذا تريد أن تحقق هذه المسألة وأنت تستصحب ما تربيت عليه وما نشأت عليه ستنتصر لهذا القول وتُعرض عن القول الآخر وتزعم التحقيق وتشحن الأدلة في مجلد ضخم وتقول: هذا تحقيقنا لهذه المسألة، والله يعلم منك ما الذي فعلت. بل إن من الأمور العجيبة في هذا العصر أنّ كل قول ينتصر له شخص لا يورد من الأدلة إلا ما ينتصر له، ولو أردت أن تجمع بين الأقوال تأخذ كتاب هذا وكتاب هذا حتى تجمع بين أقوال العلماء في المسألة، وهذا خلاف ما عليه أهل التحقيق قديما أنه ينقل القول الأول والقول الثاني، أدلة فلان وأدلة فلان، ومن قال بهذا القول ومن قال بهذا القول، ثم يحقق المسألة، إذا استصحبت هذه النية وهو التجرد فلو اخطأت فأنت لن تعدم الأجر، «**إِذَا اجتَهَدَ الحَاكِمُ**» ما معنى «اجتهد»؟ علم الله منه الاجتهاد، ولا نقول حقق في اصطلاحنا وبحث المسألة، لا. قد يبحث وهو صاحب هوى، قد يبحث وهو مُقرر في نفسه أنه سينتصر لهذا القول، فلابد من التَّجرد، ولهذا يصعب كما تعلمون أنَّ رجلا نشأ في بيئة فاستطاع التَّخلص من الأخطاء التي كانت في بيئته، والعبرة بكثير من المفسرين شُرَّاح الأحاديث وهُم علماء كبار وأئمة ما استطاع الكثير منهم التَّخلص منهم من التَّأويل والتَّعطيل والتَّصوُّف وهم علماء وأئمة كبار، لأنه نشأ في بيئة لا يستطيع أن يتخلص من هذا الأمر، وقلة قليلة من هؤلاء يتجرد للحق فينجو كما حصل من ابي الحسن الأشعري، تربى في أحضان المعتزلة، وتلقى الاعتزال، وتلقى عن ابن كلّاب، وينتقل من مرحلة إلى مرحلة حتى استقرّ به الأمر لعقيدة أهل السنة، فهذا يحتاج إلى تجرد، فلا بُدَّ أن يستصحب طالب العلم في بحثه التَّجرد، وإلَّا فلا تقل سأبحث في هذه المسألة، اكتفي بأن تكون مُقلدا، لا تسطر مجلدا ضخما وتدعي فيه

التحقيق.

❁ **الأمر الثاني** في الاستدلال: الجمع بين النصوص في الباب الواحد. إذا أردت التحقيق لا تأخذ نصا واحدا تبني عليه حكم، وإنما اجمع جميع الأدلة، من القرآن من السنة، والقراءات ما وردت في هذه الآية، ثم ارجع للإجماع هل نقل الإجماع على هذه المسألة ثم أقوال العلماء، بعد ذلك تستطيع ترجح من خلال النظر العام بمجموع الأدلة، ونحن في هذه العصور حصل لنا من التيسير في الاطلاع على مجموع الأدلة ما لم يحصل لمن قبلنا، والحجة قامت علينا أعظم من قيامها عليهم، لأنك الآن تدخل لفظة في مسألة تريد أن تحققها في هذا الجهاز فتخرج لك النتائج أمامك، والله سنسأل يوم القيامة عن هذه النعمة، وليس لك أن تقول لم اطلع على هذه الآية أو هذا الحديث، نعم، لم تطلع عليها، لكن هل بذلت الجهد في طلبك؟ لو كانت تجارة في أقصى بلاد الأرض ترتحل في طلبها، وهذه مسألة متعلقة بدينك وبعقيدتك ويختلف الناس فيها، وتكتفي بما تسمع من فلان والدليل كذا، ولا تنظر في الأدلة، ولا فيما جاء في هذه المسألة. السلف نبَّهوا على هذه المسألة: **قال الإمام أحمد**: «الحديث إن لم تجمع طرقه لم تفهمه، والحديث يفسر بعضه بعضا».

وقال يحيى بن معين: «لو لم نكتب الحديث من ثلاثين وجها ما عقلناه».

وقال علي بن المديني: «الباب إن لم تجمع طرقه لم يتبين خطؤه» وكلام العلماء في هذا كثير.

❁ **الأمر الثالث** مما يتعلق بالمنهج الاستدلال: الاستدلال بألفاظ الكتاب والسنة،

واعتقاد أنها حقيقية ليس فيها مجاز. هذا منزلق خطير، ستجد في كتب التفسير وفي شروح الحديث أنَّ هذا اللَّفظ مجازي وأنَّ ظاهره غير مراد وهذا منزلق خطير تسرَّب إلى كتب التفسير وإلى كتب شروح السنة من بعض من صنف فيها من أهل الفن وهو متأثر بمناهج المتكلمين، حتى سادت هذه العبارة عند بعض من ينتسب إلى السنة فيقول: هذا النص ظاهره غير مراد. وهو لا يدري من أين جاءت هذه الكلمة، كيف يكون ظاهره غير مراد؟ أمر خطير، شيخ الإسلام ابن تيمية يقول: «والسلف ينزّهون أن يكون كلام الله عَزَّوَجَلَّ ظاهره الكفر والبدعة». والله عَزَّوَجَلَّ الذي قال: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ [البقرة:١٨٥] يخاطبنا بكلام ظاهره باطن، ويريد منا أن نستخرج المعنى الصحيح بتكلف وشدة ثم نعتقده، والله هذا ما يليق بكلام عالم ناصح للأمة يخاطبهم بكلام يقال فيه بكلام كهذا، فكيف بكلام ربِّ العالمين؟ فإذا من ظواهر النصوص حق، لكن كما قال شيخ الاسلام ابن تيمية: إذا قال الرجل ظاهر النصوص حق، يقال له: ما الذي تريد بالظاهر؟ فإن أراد الظاهر الصحيح الذي دلت عليه الأدلة وفهمه العلماء فنقول الظاهر حق. وإن كنت تفهم من النصوص أنَّ ظاهر الصفات التشبيه فهذا ليس بظاهر، وإنما هو وهم ممن يدعي أنَّ هذا هو الظاهر، هنا نقول يعني عن أهل العلم في هذا الباب أن النصوص كلها على ظاهرها، وأنَّ ليس فيها مجاز، بل أنكر شيخ الإسلام ابن تيمية أن يكون في اللغة كلها مجاز، وأنَّ العرب ما عرفوا أن هذا لفظ حقيقي ولفظ مجازي.

❁ **من المنهج في الاستدلال:** الإيمان بالمتشابه والمحكم من كلام الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ. فبعض الناس إذا وجد المحكم أخذ به وإذا وجد المتشابه أعرض عنه، وهذا خلل عظيم،

والصحيح هو أن تعيد هذا المتشابه إلى المحكم، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «والواجب حينئذ التمسك بالصريح المحكم وردّ المتشابه إليه، ولا يجوز التمسك بالمتشابه وردّ المحكم إليه»، فهذه طريقة أهل البدع، فالنصوص البينة الظاهرة يعيدونها إلى المتشابه، فالواجب هو الإيمان بالمتشابه والمحكم وردّ المتشابه إلى المحكم فتتبين لك المسائل.

❁ **من المنهج في الاستدلال:** الأخذ بظواهر النصوص التي تدل عليها لغة العرب وسياق الكلام وتراكيبه، واعتقاد أنَّ دلالات الألفاظ الصحيحة حق ومرادة لله منها. لماذا؟ لأنَّ الله أنزل القرآن بلغة العرب، ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾ [الشعراء: ١٩٣ – ١٩٥] **ولهذا قال الشَّافعي:** «من اعتقد أنَّ في القرآن ما ليس من لغة العرب فإنه كافر».

لكن هنا مسألة ينبغي التنبه لها: هل كل من فهم اللغة يفهم القرآن؟ لا. فهم اللغة شرط لفهم القرآن ولكن لا يكفي، لماذا؟ القرآن نزل بلغة العرب، واختلف الناس هل الشارع غيَّر هذه الألفاظ وأتى بمعاني جديدة أو أنَّه أتى بها مطابقة؟ كلا القولين باطل، **فبعض الناس قال:** إذا عرفت لغة العرب عرفت القرآن. **وبعضهم قال:** لا، هذه المعاني كلها تغيرت، وهي معاني جديدة. وهذا قدح في أنَّ القرآن نزل بلغة العرب، والصحيح أنَّ المعاني الشرعية ترجع إلى المعاني اللغوية لكنها مقيدة، **فالصلاة هي** الدعاء في لغة العرب فأتى الشارع وقيد هذه الصلاة المشروعة بعبادة مخصوصة متضمنة الدعاء سواء دعاء المسألة أو دعاء الطلب، الزكاة: النماء قيدها بعبادة مخصوصة فيها معنى النماء، فالحج: القصد في لغة العرب، فقيده الشارع بقصد مخصوص في مكان مخصوص في وقت مخصوص بعبادة

مخصـوص، **وهذه قاعدة مضـطردة**: (ليس في الألفاظ الشـرعية ما يخرج عن لغة العرب)، ومن هنا تدركون الحاجة للمنهج الذي سـلكه العلماء إذا أراد أن يُعرّف بلفظ يأتي بالمعنى اللغوي ويأتي بالمعنى الشرعي.

❁ **من المنهج في الاستدلال**: الرجوع في فهم النصوص إلى ما يدل على تفسيرها من النصوص الأخرى. هذا منهج عظيم، إذا أردت أن تفهم آية من كتاب الله فارجع إلى الآيات الأخرى المبينة لهذه الآية، فإن من التشابه في كلام الله -كما ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية- أن يشـبه بعضـه بعضـا، فهذه الآية تشـبه هذه الاية، عندما قال: ﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا﴾ [الزخرف: ٣] وقـال: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ﴾ لاحظ ﴿نَزَلَ بِهِ﴾، نزل من أين؟ من الله، إذا القرآن منزل، فلا يأتي من يقول: ﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا﴾ جعل **بمعنى**: خلق، «إنا خلقناه قرآنا عربيا!» الآية الأخرى مفسرة، فإذا القرآن يفسر بعضه بعضا.

هناك كتب متخصصة في تفسير القرآن بالقرآن، من أشهر باسمه وبمنهجه كتاب الشيخ محمد الأمين الشنقيطي: «أضواء البيان»، كذلك «تفسير ابن كثير» مشتمل على مادة غزيرة في تفسـير القرآن بالقرآن، وكذلك في بعض الكتب الأخرى، فأول ما تطلب في تفسـير الآية أن تطلب تفسـيرها من القرآن، ثم تفسـيرها من السـنة، ثم تفسـيرها من الإجماع إذا وُجد، إجماع العلماء على هذا التفسير، ثم من أقوال السلف.

والمرحلة الثانية بعد طلب التفسـير من القرآن الرجوع إلى كلام السـلف، فهم أهدى وأعلم وأقرب إلى الصـواب منّا، فإذا وجدت أن السـلف اختلفوا في تفسـير هذه الآية على قولين أو ثلاثة فاعلم أن الحق في أقوالهم، فلك أن تُرجح بين أقوالهم ولا يجوز أن تحدث

قولا جديدا كما سننبه على هذا، وهذا أيضا في مرحلة الترجيح بين أقوال السلف عند الاختلاف مع عدم إحداث قول جديد.

من الأمور التي ينبغي أن يتنبه لها ما ذكره شيخ الإسلام في مقدمة التفسير: «أن كثيرا من أقوال السلف في التفسير تلجأ إلى اختلاف التَّنوع لا التَّضاد، وهناك منهج سائد عند السلف في التفسير أنَّهم يفسرون الآيات بالتَّمثيل للمعنى، فيأتون مثلا ﴿وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ﴾ [الزمر: ٣٣] **فيقولون**: الذي جاء بالصدق النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وصدّق به أبو بكر يأتي آخر ويقول: الذي جاء بالصدق الأنبياء وصدق به المؤمنون. يأتي آخر ويقول: الذي جاء بالصدق العلماء، وصدق به من اتبعه. هذا كله على سبيل التمثيل، نحن الآن تعودنا أن يكون التفسير ببيان المعنى، هذا المشهور عندنا، ولكن هذا منهج في التفسير فيظن من اطّلع على التفسير أنه هناك اختلاف، مثل الصراط المستقيم ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة: ٦] بعضهم فسّره بالقرآن، وبعضهم فسّره بالإسلام، بعضهم فسّره بالنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهذه كلها أقوال ليست متعارضة، لا تظنن أنَّ هناك خلاف، اختلف السلف في تفسير هذه الآية، ليس هناك خلاف، إنما اختلاف لفظي.

❁ **من المنهج في الاستدلال**: ردّ التنازع في مسائل الخلاف بين العلماء إلى الكتاب والسنة. إذا تنازع العلماء تتعصب لأحدهم؟ تدّعي أن الحق مع فلان؟ بل تعيد هذا التنازع إلى الكتاب والسنة كما قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ﴾ [النساء: ٥٩] لاحظ التوجيه والشرط ﴿إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ﴾، لا يرد التنازع بالتعصب، واعتقاد أن هذا يصيب ولا يُخطئ وأن م خالفه مخطئ ولا

يصيب، حتى قال قائلهم: من ردّ على شيخي رددت عليه. سبحان الله، كأنه يقول: من عارض القرآن رددت عليه. شيخك يُصيب ويخطئ، والصواب أن تقول: من ردَّ على شيخي بباطل رددت عليه. فقد يرد على شيخك الباطل وينصر الحق، فترد الحق؟ هذا موجود الآن، ويموت وهو يدين لله بأنه من تصدى لفلان سيتصدى له ويردّ عليه، هل هذا منهج أهل السنة؟ هل ادعاء السلفية مجرد مقال وتقول: أنا سلفي؟ هذا كلام السلف، ما كان أحدهم يرضى أن يقلد رجلا حتى ولو كان من الخلفاء الراشدين، مازح معاوية ابن عباس، قال: أنت على ملة علي؟ قال: ولا على ملة عثمان، أنا على ملة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، من عثمان وعلي؟ من الخلفاء الراشدين. ما كان أحدهم يرضى أن يُنسب لرجل، ولهذا لا نعرف أن رجلا تعصب لأبي بكر من الصحابة فقال: أبو بكر يصيب ولا يخطئ، بينما تجد هذا التعصب موجود عندنا، تجد بعض الطلبة الذين يجهلون أكثر مما يعلمون يتعصب لهم ويصدر لهم في المجالس ويتعصب لآرائهم فهل أنت مؤمن بهذه الآية: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ الإمام ليس بالتَّمني، وليس بالدَّعاوى، هذا القرآن إذا تؤمن بهذه الآية اعمل بها.

❁ **من المنهج في الاستدلال:** الرُّجوع في فهم النُّصوص إلى أصول الشريعة. هذا الأمر يغيب عن بعض المتكلمين الآن في العلم، فيأتي ببواقع يقول: فهمت من هذا النَّص كذا. وهو مخالف لأصل، مثال ذلك من يأتي لقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَن يَقۡتُلۡ مُؤۡمِنٗا مُّتَعَمِّدٗا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدٗا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَلَعَنَهُۥ﴾ [النساء: ٩٣]، قال أنا أعتقد أن من قتل مؤمنا أنه خالدا مخلد في نار جهنم، وهذا بنص الآية، وأنا لا أبالي بقول أحد، لدي

حجة من كلام الله. نقول لهذا المتكلم: قبل أن تُعمل فهمك لهذه الآية لا بد أن تعرف الأصل الذي أجمع عليه سلف الأمة وعلماء أهل السنة إلى اليوم أنَّ صاحب الكبيرة لا يُخلد، في النَّار، يقول كيف أعارض هذا بالقرآن؟ الإجماع ما عارض القرآن، لكن عارض فهمك للقرآن، ولهذا إذا كنت تستيقن أنَّ هذه الآية لا يُمكن أن تكون مُخالفة للأصل أعد النَّظر في هذه الآية حتَّى يفتح الله عليك، لو وقفت عند هذه الآية تأملت معنى قوله: ﴿فَجَزَآؤُهُۥ﴾ هنا الوعيد تنزّل على الجزاء، وفرق بين الخبر عن الجزاء والخبر عن الوقوع، مثال ذلك: الآن لو قيل في نظام المرور، من قطع الإشارة يُسجن هذا الجزاء، ولا يمكن أن تحكم أنَّ كل من قطع الإشارة سجن، لأنَّ ولي الأمر قد يدفع هذه العقوبة بوجود خطأ، بوجود عالم فاضل له ظرف، أو وجود آخر له ظرف، فقد ترتفع العقوبة بأسباب، هذا لا شك أنه جزاءه، لكن جاءت الأدلة الأخرى..، **كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية قال:** «لأهل الفضل من الإدلال عند ربهم ما ليس لغيرهم». هذا الموحد الذي وحد الله جعل له منزلة لو استحق بعدل الله أن يُخلد في النار فإن الله لا يخلده لما معه من التوحيد، كثير من المسائل يتكلم فيها الناس بالنظر إلى دليل، يقول هذا الذي دلّ عليه النص، وأنا لا أفهم إلا هذا، أعد هذه المسألة إلى أصلها، قد لا يرتقي فهمك أن تفهم الفرق بين الجزاء والوقوع، لكن إذا رضيت لنفسك ألا تخرج عن أصل من أصول أهل السنة فأنت ستبقى في مأمن.

ذكرت مرة لبعض طلاب العلم، قلت: لماذا لا يُوجد عند علماء أهل السنة -الذين نعرفهم بالاتباع- لا يوجد عندهم شذوذ، الذي يوجد الآن عند بعض من ينتسب للدعوة، في كل يوم يخرج لنا رجل ويأتي بباطل، هذا يرى عدم وجوب صلاة الجماعة، هذا يرى

إباحة الموسيقى والأغاني، كل مرة نسمع مقالة جددة، لماذا لم يقل في هذا العلماء الكبار، العلماء الكبار انضبطوا بهذه الضوابط، يرجع إلى الأصول، يرجع إلى الإجماع، يرجع إلى أن هذه المسألة عليها عامة علماء الأمة، وإذا وجد فيها قول فهو شاذ لا يعبأ به، فيأتي هذا الجاهل يظن أنَّ الناس ما اطلعوا على هذه المقالة إلا هو فتكون فتنة له.

❀ من المناهج في الاستدلال: إعمال مقاصد الشريعة. وهذا غير الأول، الأول الرجوع للأصول، هنا إعمال مقاصد الشريعة، في ماذا؟ في الأمر والنهي، عندما يأمر الله عَزَّوَجَلَّ بأمر أو ينهى عن شيء إما أن تذكر العلة أولا تذكر، إن لم تُذكر يُقال هذا أمر تعبدي، والأمر التعبدي لا يقاس عليه عند العلماء، هذه أصول منضبطة عند العلماء، إذا كان هذا الأمر متضمن العلة فإن هذه العلة تطرد في نظائر هذه المسألة، بل إنها تقاس من جهتين: قياس الطرد وقياس العكس. **الطرد**: هو إثبات الحكم في نظير هذه المسألة إذا تضمنت العلة. والعكس هو نفي الحكم بانتفاء العلة، فإذا جاء رجل الآن قال: هذا «البيبسي» هو خمر، وهو محرم. نقول: لماذا حُرمت الخمر؟ للإسكار. فنطرد العلم، إذا وجدت علة الإسكار في «البيبسي»، فترى رجل شرب البيبسي فسكر فألحقه بالخمر، سمه «بيبسي» سمه ما شئت من المشروبات، إذا لم توجد علة الإسكار ينبغي أن تنفي عنه حكم الخمر، فمعرفة مقاصد الشريعة من أعظم المسائل في الفقه، وخاصة في باب عظيم هو محل تنازع طلاب العلم اليوم، ما هو هذا الباب؟ باب معاملة أهل البدع، أكثر نزاع بين المنتسبين للمنهج السلفي في معاملة أهل البدع، بدَّع بعضنا بعضا وتكلم بعضنا في بعض، وسادت الفتنة للمنتسبين للسنة بسبب الجهل في هذا الباب، أذكر مثالا لطالما تكلمت عنه كثيرا، دلت السنة على هجر المبتدع وهجر العاصي ففهم بعض المنتسبين للسنة أنَّ الهجر عُقوبة

تُنزَّل على كل مبتدع، ومن لم يهجر المبتدع فهو مميع مُضيِّع، لمَّا والله ساد الكلام في هذه المسألة درست هذه المسألة بتجرد كما ذكرت لكم، سبرت النصوص في مسألة الهجر وإذا بالهجر له مقاصد وأنا أذكر لكم الأدلة، قول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَثَلُ الجَلِيسِ الصَالِحِ وَمَثَلُ الجَلِيسِ السُوءِ، كَحَامِلِ المِسكِ**» تأمل الحديث الآن، ما المقصود بهذا الحديث؟ هل المقصود بهذا الحديث هو النظر لمصلحة المبتدع أو النظر لمصلحة المخاطب؟ يقول لك النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: احذر أن تجالس صاحب سوء، فإما أن يحرق ثيابك أو أن تجد عنده ريحا خبيثة. إذا هنا إذا جاء الهجر وتحذير العلماء من مجالسة المبتدع كان النظر فيها لمصلحة الهاجر، فهذه مصلحة متعلقة بمصلحة الهاجر، **قررنا هنا**: (كل من تضرر بمجالسة رجل فيجب عليه أن يهجره)، لكن هل كل مسائل الهجر تخضع لهذا؟ لا. الآن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عندما هجر كعب بن مالك وصاحبيه، هل هجرهما لأنه يتضرر بمجالسة كعب بن مالك وصاحبيه؟ من يقول هذا؟ هنا الهجر لمصلحة ماذا؟ لمصلحة المُخالف وهو التأديب، ولهذا لما حصل التأديب وأنزل الله عَزَّ وَجَلَّ توبته على هؤلاء، بقوا خمسين ليلة ورُفع الهجر وصلح حال المخالف. فهنا من مقاصد الهجر أنه قد يكون الهجر لمصلحة المخالفة وهو التأديب.

هناك مقصد آخر من مقصد الهجر هو مصلحة الأمة، صاحب الدين الذي أبى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يصلي عليه، لم؟ لمصلحة من؟ لمصلحة الأمة حتى ينزجر الناس عن التفريط في الديون، **فلدينا ثلاث مقاصد للهجر**:

- لمصلحة الرجل نفسه.
- لمصلحة المخالف.

- لمصلحة الأمة.

نأتي فقه هذه المسألة إذا كان رجل يُؤثر في المخالف ولا يتأثر ويرجو من جلوسه مع المخالف أن ينفعه، هل نقول يجب عليه أن يهجره؟ هذا قول جديد الآن نحن أحدثناه له شواهد كثيرة: ابن عباس جالس الخوارج وناظرهم، علي جالس الخوارج وناظرهم، عثمان جالس الخوارج وناظرهم، الإمام أحمد جالس المعتزلة وناظرهم في عهد المأمون، الأئمة ابن تيمية ناظر الرِفاعية وأهل الكلام جالسهم وناظرهم، هل هؤلاء مبتدعة وضلال لم يهجروا المخالفين؟ إذا هنا منهج، هذا المنهج إذا أردت أن تعرف مسألة الهجر لابد أن تتبع صورها وتُنزل الأحكام على منازلها، لهذا نقول أنَّ الهجر للمخالف كما قرره شيخ الإسلام، يقول: «وإذا كان الهجر بقصد تأديب المخالف، والهاجر ضعيفا، لا يؤثر هجره والمهجور لا ينتفع بهذا فإنه لا يجوز أن يُهجر». حتَّى نُدرك خطورة الأمر انظروا ما الذي أدى إليه تطبيق الهجر تطبيقًا خاطئًا على حال المنتسبين للسنة اليوم، كثير من إخواننا في الخارج أخبروا أنه ارتد بعض المسلمين عن دينهم في أوروبا بسبب هجر جماعة من طلاب العلم كان يُجالسهم أحد إخوانهم فجاءتهم الفتاوى عبر الهاتف أن اهجروا فلانا، فهجروه فارتد عن دين الله، والله يا إخوان هذا الأمر قبل أكثر من عشرين سنة عندما كنت أدرس السنة للبربهاري، أخبرني بعض طلاب العلم أنَّه ارتدَّ بعض النَّاس عن دينه بسبب هجر بعض طلاب العلم له، سبحان الله، النَّبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول لمعاذ: «**أَفَتَّانٌ أَنتَ يَا مُعَاذ**» لم؟ لأنَّ معاذ أطال في الصلاة، فكيف النَّبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لو وقف على أفعال هؤلاء أنَّ رجل ما يخرج من الصلاة ويصلي، رجل يرتد عن دينه، بدعوة ماذا؟ بدعوى أنَّ الهجر لا بد أن ينزل على كل مبتدع، فحتى أبقى في السلفية ولا يزورني السلفيون لا بد أن أهجر كل

المخالفين، هذا خلل، ولهذا ابن القيم تكلم عن هذه المسألة قال: «والهجر كالدواء إذا زاد قتل وإذا نقص لم ينفع». انظر إلى أنت الآن أبنائك هل ابناءنا الآن، نسائنا كلهم على دين الله كما أُنزل القرآن يعملون به، نحن ندرك الخلل، إذا كان الهجر منهج في هجر كل مخالف اهجر زوجتك واهجر أبنائك واطردهم من البيت ولا تجالسهم، هذا خلل منهجي، ما السبب في هذا الخلل؟ عدم معرفة مقاصد الشريعة، ما هو مقصد الشريعة من الهجر؟ هذا مقصد الشريعة، الآن عندما يتدين بعض المنتسبين للسلفية، أنَّه يعتقد أنَّه لو قال لأحد إخوانه: السلام عليكم. يعتقد أنَّه سيعاقب من الله، ولهذا بعضهم لا يسلم على إخوانه بل لا يسلم على شيوخه، ما هذا الاعتقاد؟ هذا يعتقد أنه لو قال: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. أن الله سيعاقبه يوم القيامة، انظر إلى الأصل الشرعي، نحن الآن نحتج بالأصل ومقصد الشريعة، الأصل: أجمع العلماء على أنَّ الرجل إذا بقي على الإسلام لو كان من أفجر الناس أنَّه يُشرع إلقاء السلام عليه والصلاة عليه والدعاء له، وأنا أقول هذه وأعلم أقوال أهل العلم المثبتة لهذا، بإجماع العلماء، إلا أن هذا الرجل قد يُهجر بترك السلام عليه، وقد يهجر بترك الصلاة عليه، وقد يُهجر بأمور أخرى. فإذا مقصد الشريعة هنا ما هو؟ مقصد الشريعة هنا إذا تركت السلام على مخالف من المسلمين فالمقصود هو تأديبه، كما ترك النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ السلام وإلقاءه ورده على كعب بن مالك وصاحبيه، لا أنه يعتقد أن السلام على هؤلاء أنه [..]، أقرب مثال لهذا المدينة كان فيها منافقون، وكان النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يغشاهم في مجالسهم ويقول: السلام عليكم. يعاملهم معاملة المسلمين، لو كان السلام يُحجب عن أهل البدع المخالفين لحُجب عن المنافقين مع أن النفاق الأكبر هو الكفر، لكن من كان ظاهره الإسلام فإنه يُعامل معاملة المسلمين. هذا الخلل المنهجي

لمَّا لم يعرف هذا الطالب الحدث، لماذا يترك السلام على المخالف؟ عمَّم هذا الحكم فأصبح لا يسلم على شيخه، ولا على والده ولا على أمه، يعتقد أنَّ هذا حكم شرعي، وما عرف هذا المسكين أنَّ ترك السلام على مخالف من باب التأديب، فإذا كان هذا شيخك ما شعر بك وأنت تترك السلام عليه فكيف يتأدب بفعلك، جاءني أحد الطلبة بعد سنين طويلة، قال: سامحني يا شيخ. قلت: لم؟ قال هجرت دُروسك والسلام عليك وابتعدت عنك. قلت: لم؟ قال: لأنَّ المشايخ يقولون: اهجروا فلان. قلت: هل هجري تدينا؟ **يعني**: لا يجوز السلام علي، أو من باب التأديب لو تنزلنا أن عندي خطأ. ما فهم، قلت: أقصى ما فيها أن مشايخك لا يعتقدون كفري، لكن يقولون: خالفنا نهجره هجر تأديب، أنا ما شعرت بك إذ غبت وما عرفت بك إذا حضرت، فتركك للسلام ضيعت حسنات كثيرة، وأنا ما انتفعت بك، ولو ذهب كل الطلبة ما تركت ديني من أجل أن أوافقكم حتى تسلموا، تحضر عندي سأترك هذه المسألة الشرعية، من أجل أن يحضر الطلاب عندي، هذا خلل موجود، إذا ذكرت هذه المسائل قال يا شيخ: كيف الولاء والبراء؟ الولاء والبراء غير مسائل الأحكام الشرعية، إذا صليت خلف مسلم مقصر في عقيدته أو مُقصر في استقامته لا يعني أنك تحبه، ولهذا صلى الصحابة خلف الخوارج، سألوا عثمان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وهو محصور، قالوا: نصلي خلفهم؟ قال: صلوا معهم، فإن أصابوا فلكم ولهم، وإن أخطوا فعليكم، وهذا حديث النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

إذن: لا بد أن تعرف لم تشرع ترك الصلاة خلف المبتدع، المبتدع إما أن يكون كافرا فلا يجوز أن تصلي خلفه، وإما أن يكون مسلما فبإجماع العلماء أن من اقتدى بمسلم ولو كان من أفجر الناس فالصلاة خلفه صحيح.

إذن: لابد أن تدرك مقاصد الشريعة من هذه الأمور.

❁ **من المسائل المتعلقة بالاستدلال**: الوقوف عند الحدود الشَّرعية للحقائق التي ترد في النصوص. **مثال ذلك**: الإيمان حقيقة الشرعية، لكن يطلب على معنيين:

- قد يُطلق ويراد به الأصل.
- وقد يطلق ويراد به الكمال، قول النبي ﷺ: «**لَا يَزنِي الزَانِي حِينَ يَزنِي وَهُوَ مُؤمِن**» وحديث أبي ذر قال: «**مَن قَالَ لَا إِلَهَ إِلَا الله دَخَلَ الجَنَّةَ، قَال: وِإِن زَنَى وِإِن سَرَق. قَالَ: وَإِن زَنَى وَإِن سَرَق**» كيف رجل يدخل الجنة وهو ليس بمؤمن.

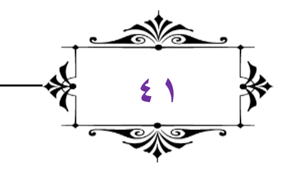
إذن: حديث أبي ذر يقتضي أنَّ الزاني يدخل الجنة، الحديث الآخر: «**لَا يَزنِي الزَانِي حِينَ يَزنِي وَهُوَ مُؤمِن**» لو قيل نفي الإيمان بالكلية يكون كافر، فمقتضى الحديثين أنّ الكافر يدخل الجنة، هذا ما يمكن، الإيمان المنفي هنا الكمال، والإيمان المثبت في حديث أبي ذر هو الأصل، إذا اجتمعت النصوص، «**لَا يَزنِي الزَانِي حِينَ يَزنِي وَهُوَ مُؤمِن**» كامل الايمان، ولكنه قد يدخل الجنة ابتداء. لا، باعتبار المآل، وقد يغفر الله له ويُدخله ابتداء.

فإذن: هنا هذه الحقائق الشرعية مثل الإيمان ومثل النفاق، النفاق له أصل، وله الإيمان المطلق والنفاق المطلق وفيه شعب من شعب النفاق قد ترد على المسلمين، فلابد من مراعاة هذه الإطلاقات.

أيضا مما يراعى في هذا الجانب مراعاة الأحكام المطلقة وتنزيلها على المعينين، هذه فتن كثيرة لبعض المنتسبين للسنة، أنه ظن أن كل حكم مطلق إذا وردت فيه النُّصوص يُنزل على المعين، فكُفِّر بعض المعينين وفُسِّق بعض المعينين، وحكم على بعضهم بالخروج من الدين، ولُعن بعضهم، بعضهم يخرج إلى الأسواق ويلعن كل امرأة متعطرة، يقول:

«**الْعَنُوهُنَّ فَإِنَّهُنَّ مَلْعُونَاتٌ**» هذا حديث النبي ﷺ أنا ألعنها. هذا جهل، فرق بين الحكم المطلق وتنزيل الحكم على المعين، كذلك الوعيد المطلق الوعيد المطلق لا يستلزم تنزيله على المعين، فلا تأخذ نصوص التكفير والوعيد المطلق وتنزله على المعينين.

۞۞





الجانب الرابع:
ضبط نطقه والتحدث به ووسائل ذلك.

- **ننتقل بعد ذلك إلى ضابط النطق والقول:**

نحن نتكلم عن ضبط العلم في الصدر، وهو أن طالب العلم يستحضر النصوص ويستصحب هذه الأصول وهذه القواعد يُرجى -إ شاء الله- مع التوفيق والتوكل والدعاء أن يفهم هذه الحقائق، وإن كنت قلت في بداية الحديث: لا يجب أن نحصر الموضوع في عجالة كهذه ولكن هذه من أعظم الأمور التي -إن شاء الله- تعين، وما ذكرت مسألة من هذه المسائل إلا ونتج عن مخالفتها انحرافات كثيرة في الأمة، فلا تظن أنّ هذه التي نذكرها لمجرد يعرض المسألة، بل كل مسألة ذكرناها لو أخلّ بها المستدل لسلك طريقا غير طريق أهل السنة.

❁ ننتقل بعد ذلك إلى رجل ضبط العلم، هو سينتقل إلى مرحلتين:
سيكون داعية، سيتكلم بالعلم، سيكون مؤلفا يؤلف الكتب...

ضابط الحديث عن العلم ومخاطبة الناس به: هذا أمر عظيم، وينبغي أن يُعرف أن فهم العلم لا يستلزم فهم ضبطه قولا وخطابة. **يعني**: إذا كنت تفهم المسألة ليس بالضرورة أن تكون مدرسا، ولهذا حقيقة أرى من المناهج التي ينبغي أن تسلك في اختيار المدرسين لا يكفي أن يحصل على شهادة علمية، وأن يكون عالما، يُختبر المدرس في شرح مسألة دقيقة، كيف يشرح هذا؟ كلنا مرت بنا مراحل على مدى مراحل التعليم نُدرك بعض

المدرســين علماء ولكن ليس لديه قدرة على إيصــال المعلومة، لأســباب كثيرة إما لعدم القدرة على البيان أو للكسل عن الإيضاح، النتيجة أن هذا لا يصح.

فإذن: ضبط العلم في الصدر لا يستلزم ضبطه في الكلام والقول.

- **ما هي الأمور المعينة والوسائل المعينة لضبط الكلام في العلم؟ عدة أمور:**

❁ **أولا: قوة اللغة. وسعة الاطلاع على مفردات اللغة،** كلنا ندرك بحسب ضعفنا في اللغة أنك تجد في نفسك معنى لا تستطيع أن تعبر عنه، مرّ بكم هذا أولا؟ موجود. لكن نحن نتفاوت في هذا الأمر ما بين مُكثر ومُقل، وأنا أعرف هذا من خلال المتصلين، أن بعضهم يتصل يريد أن يسأل سؤالا، والله يا إخوان لا أكون مبالغ، أن السائل يسأل مرة، أسأله ست، سبع أسئلة حتَّى أعرف ما الذي يريد، وخاصة النِّساء، الناس اليوم فيهم ضعف في اللغة وفي البيان، حتى أصبح بعضهم الآن ينادي أنَّك لا تستطيع أن تشرح درسا إلا بالوسائل، وهذه حيلة العاجز، **يعني يقول:** لا يمكن أن تشرح الطواف حتى تأتي بمجسم والطلاب يطوفون حوله حتَّى تبين الطواف، بينما الفصحاء قديما قالوا: الطواف في البيت أن تجعل البيت عن يسارك، وأن تطوف بالبيت تبتدي من كذا وتنتهي بكذا، وإذا حاذيت الحجر كبرت أو استلمت كلام واضح، لكن عندما يعجز هذا مدرس أن يُبين يقول: أنا أحتاج إلى وسيلة، وأصبحوا الآن يُلزمون العلماء بهذه الوسائل، ويقولون: من درس بغير وسيلة فهو ناقص، المحاضرة هذه الآن أنا أشرح أشياء كثيرة إذا ما عندي وسائل ومجسمات عندي نقص وخلل، إذا كنتم عرب والمتكلم عربي وأنتم تفهمون كلام العرب وأنا أعرف مفردات العرب لا نحتاج إلى وسيلة ولا نحتاج إلى مُجسمات، لأننا نتكلم بلغة واحدة، لكن الخلل إمَّا أن يكون من المتكلم في الإغراب، أو يكون من المتلقي في عدم

الفهم.

إذن: قوة اللغة والسعة في معرفة مفرداتها، هذين من الأمور المهمة جدا لمن أراد أن يكون داعية خطيبا مدرسا يبين للناس دينهم، لأنه يُفسر القرآن يشرح السنة وهي بلغة العرب.

❁ **الأمر الثاني: الفصاحة في الكلام.** الفصاحة في الكلام ليس بالضرورة أن يكون لديه مفردات، أنا اذكر بعض الأعاجم، لديه مفردات غزيرة جدا أكثر من العرب، لكن لا يستطيع أن يركب جملة واحدة، لهذا كثير من علماء النحو ومن علماء اللغة ألفوا مصنفات، لكن لو تكلم ما تصدق أن هذا المؤلف الذي ألف هذا الكتاب أنه صاحب هذا الرسالة، هذا موجود في بعض العلماء في الهند وفي باكستان وفي فارس وفي غيرهم، علماء كبار مصنفات ضخمة جدا، لكن فرق بين أن يُلمَّ بالمفردات ومعرفة قواعد النحو وبين أن يتكلم بها، الفصاحة في الكلام مهم جدا، **وتتطلب أيضا أمور خلقية منها:**

وضوح الصوت، بعض الناس لديه ضعف في الصوت، إما لمرض أو لكبر سن، ولهذا بعض العلماء الكبار إذا تقدم به السن قد يصعب عليه إخراج الحروف من مخارجها ويتوهم الناس من كلامه ما لم يقله، فلا بد من التنبه لهذه المسألة وإيضاح كلام هذا الشيخ أو يُنبه مثل هذا فيكتب ويُحرر حتى لا تحصل أوهام الناس من سماع الكلام على غير وجهه الصحيح.

❁ **من الأمور التي تُراد في هذا الجانب:** الابتعاد عن الألفاظ المجملة المحتملة لعدة معاني من غير تقييد لها، فيأتي ويستخدم لفظ مطلق فيقول في خطبة: من ارتكب المعاصي

مؤمن؟ لا والله ليس بمؤمن. وحصل هذا، حضرت خطبة في مسجد من مساجد المدينة لخطيب متحمس، فيقول: الذي يعصي الله في المدينة يحب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ لا والله، الذي يعصي في المدينة هو مؤمن؟ لا والله، والمسجد يضج بالتَّكبير مع هذا الخطيب، دار نقاش بعد الصلاة، لا أريد أن نتوسع، لكن الشاهد أنه يخاطب الناس، هذا الشخص لو قلت له: صاحب المعصية ليس بمؤمن؟ يقول: أقصد أنه ليس بمؤمن الإيمان الكامل. طيب، هل كل العوام يفهمون هذا الكلام ويعرفون هذا الفرق؟ يقول: ليس بمحب للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المحبة التي تستوجب ترك المعصية. من يفهم هذا؟ ولهذا بعض الناس قد يجنح للتكفير تحت ستار الألفاظ المجملة، فإذا سئل يقول: أنا ما قصدت، أنا قصدت الكفر الأصغر أقصد النفاق الأصغر، وهو يُطلق العبارات فيفهم منها الناس غير ما أراد.

❁ **من المنهج في مخاطبة الناس:** مخاطبة الناس بما يعرفون من الألفاظ، وينبغي أن يُراعى المجلس الذي يتكلم فيه إن كان من أهل العلم خاطبهم بمصطلحات العلماء.

إن كانوا عامة لابد أن يُفسر لهم ويشرح لهم.

إذا كان في بلد هذا البلد فيه مصطلحات لابد أن تخاطب الناس بمصطلحهم، أذكر من الشواهد قديما كان يتصل علي بعض الإخوة من ليبيا وكان بعضهم يسأل، يقول: عندنا «حوش» فيه كذا وكذا وكنت أجيبهم أن «الحوش» عندنا الفناء وأنا لا أشك أنَّ كل من يسألون من العلماء عندنا يفهمون من «الحوش» ما نفهمه، فبعد ذلك استفسرت، قلت: وما هو «الحوش»؟ قال: البيت. فكل من يجيبهم على هذه اللفظة على مصطلحنا ينزله

على هذا المعنى. اتصــل مرَّة قال: معروف أنَّ العلماء يحرمون الذهب. قلت: تقصــد على الرجال؟ قال: لا، على النِّســاء. قلت: سـبحان الله، مَنْ مِنَ العلماء؟ قال: الشــيخ الألباني. قلت: تقصـد الذَّهب المحلق. قال: نعم. يعني: الآن لو إنسـان ما يعرف هذه المسـائل والله يتهم نفســه، هذا الإمام النَّاقد العالم من العلماء، معروف أنه حرمّ الذهب وعلى من؟ على النسـاء. الآن تكلم بحديث يقول: يا شـيخ هذا الحديث ضـعيف. من ضـعفه؟ قال: الشـيخ الألباني، فإذا ضـعفه الشـيخ الألباني هو ضـعيف، قل: ضـعفه فلان. لا تطلق الحكم إلا على الإجماع، فإذا قلت العلماء العلماء أجمعوا، من التضــليل الآن لبعض الطلبة يقال: أجمع العلماء من العلماء؟ -والله يا إخوان- أمور لولا أنا نعلم أن الناس يعرفون هذه الأشــياء يسـتحي الإنسـان أن يتكلم بها خشـية أن يُكذب، هنا في بلدنا من قال أن العلماء هم الثلاثة، من تظن الثلاثة؟ مالك الشــافعي وأحمد؟ لا. ثلاثة من المعاصــرين، الإجماع مع الثلاثة، من قال بهذا؟ هذا يتردد ليس بين العوام، بل بين طلاب العلم، وما: «حذر منه العلماء» «تكلم فيه العلماء» «رد عليه العلماء» من العلماء؟ فلان وفلان، الإنســان عليه أن يتقي الله، نحن أُمناء على نقل العلم، لا يجوز أن تقول هذا الحديث ضعيف لأن أحد العلماء ضعفه، لا يجوز أن تقول: هذا الرجل حذر منه العلماء وإنما قل: حذر منه فلان.

❁ **من الأمور التي تُراعى في الكلام**: إعادة الكلام أكثر من مرة. وهذا من هدي النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كما جاء في حديث أنس: أنه إذا تكلم بكلمة عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أعادها ثلاثا حتى تُفهم عنه، وإذا أتى على قوم فسـلم عليهم، سـلم عليهم ثلاثا. والحديث في البخاري، فينبغي لمن تصــدى لتدريس الناس وتعليمهم، وخاصــة إذا كان صــوته منخفضــا وفي غير وضوح، أن يعيد الكلام ليس هذا بعيب، وهذا هدي النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

❁ **من الأمور التي تراعى في العرض الشفهي** سعة الاطلاع على النصوص ومعرفة استعمال الشرع للألفاظ الشرعية، دائما الخطيب والمُدرس إذا كان يستخدم الألفاظ الشرعية سيكون في مأمن من الخطأ وأن يفهم الناس منه غير ما أراد، فإذا قلت: الإيمان – ونقصد بالإيمان أصل الإيمان– هو الايمان المطلق. وإذا قلت الكفر. الكفر الأكبر أو الأصغر. تتكلم بالألفاظ الشرعية، فإن هذا مما يأمن منه طالب العلم أو العالم المتحدث أن يقع الخطأ في كلامه.

- **مسألة أخيرة في هذا الباب وهي: المنهجية في عرض المعلومات:**

وهذا أمر مهم جدا، فبعض المحاضرين وبعض الدعاة وبعض الخطباء يبدأ الخطبة وأنت قد لا تعرف الموضوع الذي يتحدث عنه إلا بعد عشر دقائق من كلامه، بينما لو أتى وقال: موضوعنا اليوم في كذا. ليس بالضرورة في خطبة جمعة أن يقول: خطبتنا في كذا. لكن ينبه في بداية الخطبة بكلمة يعرف الناس أنه سيتكلم مثلا عن التقوى.

وأما المحاضرات فلا ينبغي لمحاضر أن يتحدث في محاضرة يلخص طلاب العلم هذه المحاضرة حتى يستخرجوا فوائدها، وإنما تضع منهجية، خطة، كما تضع لكتابك خطة تضع للمحاضرة خطة، حديثنا اليوم في موضوع كذا. نتحدث عن كذا وكذا وكذا. حتى يبقى طلاب العلم على اتصال بهذا الموضوع..، وأيضا يُراعى في هذا التقسيم أن يكون هذا التقسيم منضبطا، **يعني**: أنا الآن عندما أضع منهج في تلقي العلم، فلا بد أن المنهج يوضع على أساس، فأقول:

❋ **أنَّ أركان العلم:**

- عالم.
- ومتعلم.
- علم.
- طريقة العلم. لا يخرج العلم عن هذه الأركان.

❋ **مراتب وجود العلم:**

- إما أن يوجد في الصدر.
- أو يوجد على اللسان.
- أو يوجد في الكتاب. ليس هناك شيء آخر.

تقول: في الشريط. نقول: هذا في مقام الصوت. هذه مراتب وجود العلم. فهذا التقسيم لا بد أن يكون منضبطا حتى يكون الكلام يتنزل على أصول بينة واضحة.

ويحسن في الدروس التي تكثر فيها المسائل أن تلخص الفوائد في بعض المواطن التي يحتاج إليها الطلبة خصوصا في الدراسات المنهجية.

❧❧



الجانب الخامس:
ضبط رسمه وخطه ووسائل ذلك.

إذا تلقى العالم العلم ووقر في صـدره وتكلم عنه، لا بد أن يجيد التأليف، التأليف باب عظيم والله لو علم الناس ما فيه من الأجر مع الإخلاص لطلبه كل الناس، لماذا؟ التأليف هو عمر ثان للمؤلف، تموت ويبقى كتابك، انظر إلى العبر، علماء ماتوا ومضى على موتهم آلاف السـنين وكتبهم تدرس، والذي بقي عِلمه في صـدره مات ومات علمه معه، فهذا التأليف خير عظيم، فُتح علينا وخاصة في هذه العصور، مع تيسر السبل، ينبغي لكل طالب علم أن يضع في منهجه في التقرب إلى الله أن يترك ولو كتابا واحدا بعده يُنتفع به، يعني الآن يقول تأمين المستقبل. ما هو تأمين المستقبل؟ تُؤَمن أبناءك تترك لهم رصيد في البنك؟ هذا مستقبلك ومستقبل أبنائك أن تترك علما ينتفع به.

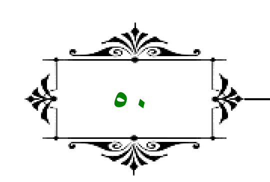
التأليف باب عظيم من أبواب نشـر العلم ، وهو أبقى وأنفع للطلبة، لأن الكلمة التي تلقى من سمعها انتفع بها، لكن هذا الكتاب يبلغ أُناسا لا تبلغهم بصوتك، والله رأينا العبرة، ذهبت إلى مناطق في إفريقيا في أوروبا وفي آسـيا فوجدت بعض كتبي سـبقتني إليهم، في المكتبة، الكتاب يبلغ ما لا تبلغه أنت لا بعمرك ولا بصـوتك ولا ببدنك، ومن هنا ينبغي العناية بالتأليف، والتأليف مع أنه مبتذل في هذه العصـور وكثر من يدعيه وكثرت الكتب، لأنه باب دقيق، ولابد أن يبنى على ضوابط، حقيقة لا يسع الآن الحديث عنها وهذا يحتاج كما يسمى إلى وِرش عمل وإلى تدريب.

- **لكن أشير من باب الضبط المُجمل للتأليف في عدة أمور:**

❁ **أولا: ضبط الموضوع.** الموضوع الذي تؤلف فيهه لا بد أن تضبط هذا الموضوع، وأن يكون من العلم النافع، وأن هذا مما تحتاج إليه الأمة، لا تُكرر شيئا سبق أن أُلف فيه، نحن في هذه العصور نحتاج إلى علوم كثيرة ما أُلف فيها، تصدى لهذا العلم فيكون لكتابك أثرا عظيما، لأنه كما يقال: فريد في بابه. والناس يحتاجون إليه.

❁ **الأمر الثاني: ضبط العنوان،** العنوان ينبغي أن يكون أخصر من الموضوع، الموضوع في العقيدة، العنوان في مسألة الصفات والقدر. والعنوان لا بد أن يُختار بعناية، يتجنب فيها المبالغات والمدح والثناء، ويتجنب فيه أيضا نزول العنوان عن موضوع الكتاب، فأحيانا بعض الناس يحمله التواضع على أن يبخس حقه، فعنوانه لا ينبئ عن كتابه، وأحيانا يبالغ في العنوان، يمدح نفسه، ولكن هذا إذا كان المقصود به التعريف بالكتاب لا بأس، لكن بشرط أن يكون هذا العنوان مطابقا لمضمونه، فإذا قلت: التفاضل في الأعمال. لابد إذا قرأت الكتاب أن يكون مشتملا على التفاضل في الأعمال، إذا كان لفظ الكتاب في الغلو. لا بد أن يشتمل الكتاب على أحكام الغلو، أقسام الغلو، وحكمه، والأدلة عليه. كل ما يتعلق بهذه المسألة.

❁ **الأمر الثالث: ضبط الخِطَّة.** هذه مسألة مهمة جدا، والخطبة لو قيل أنها نصف التأليف لكان هذا الكلام يقترب من الصواب، لأن الكتاب في خِطته، حقيقة في النظر إلى كتب المتقدمين، وكتب المتأخرين ليس هذا بفضل المتأخرين، لكن التدرج العلمي في التأليف انتهى بنا في هذا العصر إلى منهج عظيم وهو منهج التأليف، وهذا لم يكن موجودا عند المتقدمين، ولهذا لو تقرأ كتابا في القرن الرابع أو الثالث أو حتى في السابع يحتاج إذا



أردت معلومة في الكتاب أن تقرأ الكتاب كله حتَّى تجد المعلومة، لكن نحن الآن عندنا منهج، إذا كان الكتاب المجلدين تريد معلومة مجرد أن تنظر في الخطة تدرك هذه المعلومة في أي موطن من الكتاب، هذا إذا كانت الخطة دقيقة، فهذه الخطة مهمة جدا، وكذلك يقرب الكتاب الفهرس الذي هو يشتمل على تفصيل يعني: أكثر من الخطة، فلابد من وضع خطة، وهذه الخطة أيضا لا بد أن تنطلق من العنوان، ومن أهم الأسس التي تبنى عليها الخطة إدراك فن التَّقسيم، وأنَّ هذا التَّقسيم هو فن، لا بُدَّ أن يُراعى في التصنيف، فكثير من الباحثين تمر عليهم الخطط في المجالس العلمية التقسيم فيها غير منضبط، أضرب مثالا الآن في الصلاة: إذا أردت أن تؤلف كتبا في الصلاة فإما أن تبني على درجة المشروعية في الصلاة، ما هي درجة المشروعية؟ تقول: أركان، واجبات، مستحبات، هل يخرج شيء من أفعال الصلاة عن هذه؟ لا يخرج.

لو أردت مسلكا آخر للتقسيم، تقول: الصلاة اعتقاد وأقوال وأعمال. لاحظ عندما تقول: أقوال. هنا دخل في الأقوال: ما هو ركن وما هو واجب وما هو مستحب، فيأتي الآن من لا يحسن التقسيم، يقول الباب الأول: في الأركان. الباب الثاني: في الواجبات. الباب الثالث: في الأفعال في الصلاة. هل هذه القسمة منضبطة؟ لا يمكن. لأنه إذا قال: في الأفعال. سيكرر ما ذكره في الأركان، فلا بد أن يكون التقسيم منضبط، ولا يمكن للمحاضرة أو الكتاب أن يكونا منضبطا على غير تقسيم صحيح وإلا سيرد على كلامك وبحثك وكتابك ما يرد عليه كم الخلل، خطط نبّهنا على أخطاء فيها في صالة المناقشة، أين الباحث؟ أين المشرف؟ أين المجالس العلمية؟ فهذا ليس بالأمر الصعب، انتبه للخطة، اختر أحد التقسيمين، هذا تقسيم وهذا تقسيم، وأما أن تمزج بينهما هذه مشكلة.

❁ **بعد الخطة مرحلة جمع المادة العلمية،** مرحلة جمع المادة العلمية هذه مرحل مهمة، وهو أن تجمع المادة العلمية من بطون الكتب، وهذه تحتاج لتجرد، لأن الآن الباحث إذا كان يبحث في مسألة له فيها قول وهوى يُعرض عن الجانب الآخر ولا يجمعه أصلا، وينبغي له أن يجمع كل شيء، **ما هو الضابط في أنَّ المادة العلمية لهذا الكتاب اكتملت؟** كثير من الباحثين يسأل يقول **متى أعرف؟** فيذهب الشيخ يقول له: إذا أمضيت سنة. وبعض المشرفين يقول: يكفيك سنة من الجمع. ويأتي آخر يقول: إذا كان في شروح السنة اطّلع على شروح الكتب السنة يكفيك. ليس هذا هو الضابط، ما هو الضابط؟ **الضابط**: أن تجمع المادة العلمية يمكن في شهر يمكن في سنة يمكن في ثلاث سنوات، ثم تستمر في جمع فلا يأتي شيء جديد، **يعني**: أنا لي شهرين، ثلاثة أشهر وأنا أجمع ما في شيء جديد، أعرف أن المادة انتهت، أذكر مثالا لجمع مادة كتاب «موقف أهل السنة من أهل الأهواء والبدع» هذا كتاب واسع جدا في موضوعه، ويتعلق بكتب الاعتقاد، كتب الحديث، كتب المصطلح، كتب السياسة الشرعية، كتب الفقه، لأن معاملة أهل البدع متعلقة بكل هذه الجوانب، فكنت أجمع هذه المادة، -والله يا إخوان- هذا الأمر لم أقف عليه بتوجيه مدرس وإنما بالخبرة، بقيت يمكن ستة أشهر وأنا أجمع لا أجد شيئا جديدا، فأصبحت أوجه الطلاب لهذا، لا تقل سنة ولا تقل شهر، هذا هو الضابط في جمع المادة العلمية، منذ أن كتبت هذا الكتاب وإلى الآن أكثر من ثلاثين سنة، لم أجد شيئا جديدا مؤثرا، في الأحكام التي بني عليها الكتاب، توجد مسألة كانت في الخطة، فعند الجمع لم أجد فيها مادة، وهي حكم البيع والشراء مع أهل البدع، فعند الجمع المادة ما وجدت فيها مادة، إلى الآن لم أجد في هذه المسألة إلا أثر أو أثرين في «السنة للخلّال» عن الإمام أحمد أنه تُكره مُعاملة

يعني بعض أهل البدع في البيع الشراء. ما في شيء جديد، على مدى عشرين ثلاثين سنة.

فإذن: هذا ليس يعني حكما جازما أنه لا يجوز جمع المادة لكن من أقرب الضوابط لاستيفاء المادة من أنك لا تجد شيئا جديدا، ولكن تسير على نفس النشاط ونفس الاجتهاد إلى أن يتبين لك أن ليس هناك شديد، وأن ما تجده إنما هو مجرد تكرار لما تقدم، فائدة الجديد أنك قد ترتقي إلى مسألة وجدت نقل فيها عن ابن تيمية فأثناء الجمع تجد فيها أثرا على الإمام أحمد، نعم هذا عزيز، ولكن ليس هناك جديد في المادة العلمية.

❁ **المرحلة بعد جمع المادة العلمية: تحليل المادة.** هذه مرحلة مهمة جدا، بعض الباحثين إذا جمع المادة كتب، الفصل الأول. وإذا انتهى منه انتقل للفصل الثاني وجد مسألة، رجع نقض ما كتبه، لأنه وجد نقول جديدة، إذا جمعت المادة العلمية في كتاب حلّل هذه المادة، وقسّمها، تجد أنها تلجأ إلى عدة أصول، **مثال:** إذا جمعت المادة العلمية في حكم الصلاة خلف المفتي، فأنا أجد من أهل السنة من يقول: من صلى خلفه فهو مبتدع. ومن يقول من ترك الصلاة خلفه فهو المبتدع. وبعضهم يقول: يُصلى خلفه. وبعضهم يقول: لا يُصلى خلف الرافضة والجهمية. وبعضهم يقول: يُصلى خلف كل صاحب بدعة.

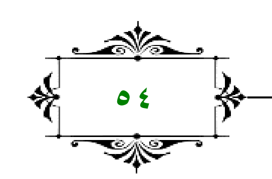
إذن: كل نوع من هذه الأقوال يُمثل منهجا فتجمع البطاقات أو المادة في من يقولون بالصلاة خلف المبتدع، ثم بعد ذلك تفرزها، هل الكل بمعنى واحد، أوهناك تمييز بين الطائفة وطائفة، هذه مرحلة التحليل، فتحليل المادة العلمية هو بناء البحث، لا أن تكتب ثم بعد ذلك ستجد شيئا جديدا فتنقض البحث وتعيد كتابته لأنك وجدت شيئا جديدا يخالف ما دونت.

❁ **المرحلة الثانية: الانتقاء لما يُثبت في البحث،** بعد التحليل وجدت مئة نقل هل ستودع مئة نقل هذه كلها في الكتاب؟ ما يمكن. تنتقي، هذا الانتقاء يرجع إلى قوة النقل، باعتبارات كثيرة، باعتبارات تقدم العالم، **يعني:** إذا وجدت نقل عن أحد الصحابة أثبت، وأثر عن الإمام أحمد، تقدم ماذا؟ تُقدم الأثر عن الصحابة، إذا وجدت أثر عن الإمام أحمد، أو كلمة لابن تيمية تقدم ما يكون على الإمام أحمد، فتنظر للأقدم.

أحيانا يكون النقل صريح في المسألة، والآخر مُجمل يحتاج إلى شرح، فتقدم الأصرح، بهذه الطريقة تنتقي، ولهذا سيكون هذا الكتاب بهذه الطريقة نموذج للكتب البيّنة واضحة مسائل ليس فيه إجمال، بينما يأتي الآن من جمع خمسين قول: قال فلان، وقال فلان، وقال فلان. تقرأ عشر صفحات وتتعب رأسك وأنت تسمع من هذه الأقوال ما تدري وجه الترجيح، وقد تكون هذه الأقوال متقاربة، ما حللها، فهذا عيب في التأليف، لا بد من الانتقاء، ولهذا قيل: «ما سميت التأليف تأليفا إلا لأنه يُؤلِّف بين الأقوال».

❁ **المرحلة الثانية: ضبط الصيغة،** طبعا أنت تنقل من علماء يتفاوتون في الصيغ، وفي الأساليب، وهذا دورك هو أن تصيغ هذا الكتاب بعبارة تكون قريبة لأفهام المتلقين.

جانب آخر مهم جدا ودائما أدرّب عليه طلاب العلم الذين يمارسون الكتابة وهو الربط بين المعلومات، الربط جانب مهم جدا، أقرأ بعض الرسائل للمناقشة وأنا مُكلف بقراءتها تكليفا واجبا لأناقشها والله كأنها جبل على ظهري، لا أرتاح حتى أفرغ منها، مع أني أنا أحب العلم وأحب القراءة خاصة في تخصصي، لكن أجد ثقل في قراءة هذه الرسالة، لماذا؟ لخلل، عدم التَّرابط، عدم توثيق المعلومات، خلل في العبارات مزعجة، **يعني:**



كالذي يأكل طعام وكلما مضغ لقمة وجد فيها حجر، والله لو كان هذا الطعام ألذ ما يكون، بينما بعض الكتب تقرأ تقول: الليل سأقرأ مئة صفحة. تقرأ مئتين صفحة، للربط، لا تنتهي من مسألة حتى تجد: وقد فرغنا من هذه المسألة، وسيأتي التنبيه على توسع في الفقرة الثانية. وينقلك إلى المسألة الثانية، ذكر لي أحد الطلاب -مع تقصير في كتابي، أنا اعترف بهذا- يقول: قرأت كتابك في التكفير وأردت أن أقرأ مئة صفحة، يقول والله طلع علي الفجر وأنا أقرأ فيه ثم أكملته بعد ذلك حتى فرغت منه، لأني وجدت ترابط. فالتَّرابط مهم جدا بين المعلومات كل ما انتهيت من فصل كلمة يسيرة، إذا مثلا نتكلم عن تكفير أهل البدع، بعد أن تنتهي قلت: وقد فرغنا من الكلام عن تكفير أهل البدع وسيأتي في المباحث القادمة أثر حكم التكفير على ما بعده من مسائل خاصة مسألة لعن المبتدع وهي ما سيأتي في المبحث التالي. انتقل الآن القارئ، وهو متشوق الآن إلى هذا الربط، انتهيت من مسألة لعن المبتدع تقول: وهذا اللعن مرجعه إلى أمر آخر وهو الوعيد، وهو ما سيأتي في المسألة الآتية، فهذا الربط مهم جدا في الكتب.

❁ **بعد ذلك تأتي مرحلة القراءة الأخيرة، والمراجعة، للسير والاختلاف في النتائج،** لأن الكتب أحيانا يؤلفها على مدى عشر سنوات، فما دوّنه في المجلد الأول قد ينقضه في المجلد العاشر، وهذا خلل موجود في بعض الكتب الموجودة الآن، لماذا؟ لأن هذا الكتاب ما روجع، فالذي كتبته في عشر سنوات ينبغي أن تقرأه في شهرين، في ثلاثة، المهم أن تكون الوقت بين قراءة هذا المبحث وهذا يسير حتى تستطيع أن تقف على المخالفات.

❁ **ثم بعد ذلك تأتي مرحلة المراجعة الأخيرة** التي تعنى بعلامات الترقيم، تصحيح

إذا فيه أخطاء إملائية، لفظية، هناك تكرار، هناك نشـوز في العبارات، يعني بهذه الطريقة -إن شاء الله- يصل الباحث إلى ضبط هذا الباب.

***



الجانب السادس:
عوائق طلب العلم.

- **عوائق ضبط العلم كثيرة منها:**

❁ **عدم الإخلاص**: سبق أن بينا أثر الإخلاص في الطلب فضده بضد الحكم، كما ذكرنا في قياس العكس، فإذا كان الإخلاص مؤثر في العلم فعدمه مؤثر في الحِرمان وهذا معروف كما قال العلماء كلمة والله مخيفة، وأنا لا أكتمكم أول مرة أقف عليها أثناء تحضيري لهذه المحاضرة، **يقول حماد بن سلمة**: «من طلب الحديث لغير الله مُكِرَ به» شيء مخيف، «من طلب الحديث لغير الله مُكِرَ به» ومن مكر به الله ما حاله؟ شيء مخيف، لأنه كأنه يستهزأ، يطلب الحديث بغير إخلاص، فهو معرض لمكر الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ﴾ [الأنفال: ٣٠]، **يقول إبراهيم التيمي**: «من طلب العلم لله، آتاه الله منه ما يكفيه» يكفي النية، إذا طلبته لله أتى منه ما يكفي، والأقوال كثيرة للسلف في هذا الباب.

❁ **من الآفات والعوائق في طلب العلم**: عدم العمل به. **كما قال عليّ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «هتف العلم بالعمل، فإن أجابه وإلا ارتحل»، **وقال الشعبي**: «كنا نستعين على حفظ الحديث بالعمل به، وكنا نستعين على طلبه -تصور بماذا؟ بكتب وكراريس؟- بالصوم» من منَّا الآن استعان بالصوم على طلب العلم؟ هذا الفرق، بيننا وبين السلف، هذه آثار يا إخوان والله يُرتحل في طلبها، كلام السلف في العلم وبركة كلامهم مناهج عظيمة، من استحضر منا

صومه أنه يعينه على طلب العلم؟ وإذا ختم صومه دعا الله عَزَّوَجَلَّ أن يرزقه علما نافعا.

كلمة للرَّاغب، الرَّاغب هذا رجل عجيب مع أنه يُرمى ببدعة، لكن في كتبه من البركة والعلم والله ما يتعجب الانسان معه، ونسأل الله أن يغفر له زلته، وإن كان رُمي بأشياء عظيمة من التشيع والاعتزال، لكن في كلامه في العلم من التحقيق الأشياء العجيبة، يقول: «كثرة العلم من غير العمل مادة الذنوب» مادة الذنوب، **يعني**: من أراد الذنوب فليطلب العلم بلا عمل، لماذا؟ لأنه يورث الفخر، قد يحمله على الانتصار للباطل، بعض الناس يستخدم علمه للجدل والكلام ونُصرة فلان والرد على فلان، فأصبح مادة الذنوب هذا العلم الذي لا يُطلب للعمل.

❁ **من العوائق في طلب العلم الاعتماد على الكتب**، **يقول الشافعي**: «من تفقه من بطون الكتب ضيع الأحكام» **ويقول بعضهم**: «من أعظم البلية تشييخ الصحيفة» تشييخ الصحيفة **يعني**: جعل الكتاب شيخا، **قال الفقيه سليمان بن موسى**: «كان يقال: لا تأخذوا القرآن من المصحفين، ولا العلم من الصُحفيين» من المصحفين؟ **يعني**: ما يعرفون القرآن إلا من المُصحف، والصحفيين هم الذين لا يعرفون العلم الا في الصحيفة، **قال الخطيب**: «من طالع الكتب في نفسه بدون معلم يسمى صحفيا» **يعني**: هذا الذي تعلم على الكتب يُسمى ولا يسمى محدث، المحدث من أخذ الحديث عن العلماء، ومن قرأ القرآن لنفسه بدون معلم يسمى مُصحفيا، ولا يسمى قارئا، يأخذ من المصحف، فانظروا إلى دقة هؤلاء يفرقون بين من أخذ العلم عن شيخ، وبين من أخذ العلم عن الكتاب هناك أبيات لأبي حيان الأندلسي، يقول:

يَظُنُّ الغُمْرُ أنَّ الكُتْبَ تَهْدِي أَخَا فَهْمٍ لِإِدْرَاكِ العُلُومِ
وَمَا يَدْرِي الجَهُولُ بِأَنَّ فِيهَا غَوَامِضَ حَيَّرَتْ عَقْلَ الفَهِيمِ
إِذَا رُمْتَ العُلُومَ بِغَيْرِ شَيْخٍ ضَلَلْتَ عَنِ الصِّرَاطِ المُسْتَقِيمِ
وَتَلْتَبِسُ العُلُومُ عَلَيْكَ حَتَّى تَصِيرَ أَضَلَّ مِنْ تُومَا الحَكِيمِ

توما الحكيم هذا نصراني يدّعي الفلسفة يُضرب به المثل في الجهل، فيضربون به المثل.

❁ من عوائق طلب العلم: عدم التدرج في العلم. عدم التدرج في العلم، فتجد يعني عالم يُدرس كتاب يحضر عنده، هذا الكتاب ما مرتبته في التدرج؟ لا يدري. ما حاجته إليه؟ لا يدري. ولهذا قد لا يفهم هذا الكتاب، حضر مرة في درس السنة للخلّال في مسجد الحديقة فحدثني رجل بعد فترة عن رجل كان يحضر معنا، قال: الشيخ إبراهيم يأتي في هذا المسجد وحوله الطلاب يكتبون. قال: أنا تعجبت. قال: كل مرة يقول: أحمد أحمد أحمد يقول: كأن أحمد نبي. قام وقلبه مليء بأحمد. يقول: هذا الشيخ ما يقول إلا أحمد. هذا الرجل ما يعرف أن هذا هو جمع علم أحمد. فهذا عامي حضر السنة وأساء الظن بي، وأساء الظن وبالإمام أحمد، فكيف يفهم المسائل من هذا فهمه، والله لا أذكر هذه الشواهد إلا للعبرة، كنا مرة في سفر، لا أقول مع طلاب علم صغار، مع أساتذة، فقالوا: نريد أن نقرأ كتاب، قلنا ما الذي: نقرأ. قلت: والله نحن نحتاج للكتاب يكون مناسب لما ندعيه من العلم. قالوا: ما هو؟ قلنا: الزهد للإمام أحمد. وبدأنا نقرأ في كتاب الزهد، فكل ما جاءت مسألة قال: حرام. من قال هذا؟ يا أخي نحن نقرأ في الزهد، الزهد باب غير الحلال

والحرام، **الزهد**: ترك ما لا ينفع في الآخرة، **والورع**: ترك ما يضر في الآخرة، فهذه المسائل كلها قد تكون مباحة، الكتاب كله مبناه على هذا الأصل، بقينا ثلاث دروس أربع دروس وتأتي الاعتراضات، آخر شيء أوقفنا الكتاب، هذا الكتاب لا يتناسب مع مستوى بعض أعضاء التدريس، لماذا؟ لأمر صعب؟ ما ضُبط تعريف الزهد، الزهد الآن كلنا نردد هذه الكلمة، ما هو الزهد؟ الزهد عرَّفه شيخ الإسلام في كلمة: «ترك ما لا ينفع في الآخرة». الذي لا ينفع في الآخرة قد يكون أمورا مباحة. **الورع**: ترك ما يضر في الآخرة، انضبطت المسألة، فهيئ نفسك أنك تقرأ كتاب الزهد في رتبة عالية من التقرب إلى الله عَزَّوَجَلَّ، وأن يكون كل وقتك مثمر، **كما قال عمر**: «اللهم اجعل عملي كله صالحا، ولوجهك خالصا» هذا ما هو؟ هذا هو الزهد. ليس له عمل إلا صالح، وكله خالص لله.

❁ **من عوائق طلب العلم: اتباع الهوى وعدم التجرد.** هذا والله يا اخوان داء خطير، كم صرف من لديه فهم وذكاء أن يكون عالما محققا بدخوله في هذه العتبة؟ أول عتبة في باب الهوى يذهب العقل، ما هو الدليل؟ ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡ﴾ [الصف: ٥]، والله يا إخوان هذه الآية لو لم يرد في اتباع الهوى إلا هذه الآية كفت الناس، إذا زاغ من الرجل ما يملك أزاغ الله منه ما لا يملك، من يُعرّض نفسه لمثل هذه الأمور؟ كثير من الناس يُدرك أو يظن أن الذنوب ذنوب إلى أن يموت ويوم القيامة يمكن يشفع في ويدخل الجنة، وما يدريك أن الذنب قد يُحرم العلم به، قد يحرم الطاعة، وقد يُفتن حتى يموت على الكفر، هذا الذي ينتسب إلى العلم كلمة تقولها مداهنة لفلان تحرم بسببها العلم، كنّا والله نتعجب من أقوال الرافضة وغلاة الصوفية، وأصبحنا الآن نتعجب من بعض كلام من ينتسب

للسلفية، ولا أريد أن أذكر أمثلة، لكن من المشهور: فلان معصوم، بعض المشايخ يسأل: فلان معصوم أو غير معصوم. هذا من يكون؟ من أهل السنة؟ هل يسألون عن نبي من الأنبياء؟ حتى الصحابة، ما حد سأل، قال: رجل من الصحابة معصوم. الإجماع إجماع ثلاثة. رجل يقول والله لو بدّعني فلان لاعتقدت أني مبتدع. أين علمك؟ أين اليقين؟ لو جاءك رجل الآن قال: صلاتك مردودة باطلة، وانت تعرف أنك صليت، تصدق؟ إخواني والله خلل كبير جدا، طيب هؤلاء الذين يقولون هذه المقالات أين عقولهم؟ أين علمهم؟ لا تتعجب ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡ﴾ [الصف: ٥] هذه ليست خاصة بالرافضة ولا الجهمية ولا المعتزلة ولا بالعجم ولا بالعرب، كل من زاغ أزاغ الله قلوبهم، هذه الآيات من المفروض تؤثر فيك، تنتصر لفلان وترد لفلان وتضعف فلان وتقوي فلان، تلاعب بالدين، ولهذا قلت كلمة: والله الذي لا إله إلا هو: والله ما وقفت على قول لعالم ..، كنت أقول هؤلاء الذين يبقون على الكمبيوتر وينشرون أقول لهؤلاء إذا أردت أن تلعب.. والله أنا لا آمر أحد باللعب، لكن هذه المرة العب، خذ كرة والعب، خذلك أي لعبة والعب ولا تتلاعب بدين الله. الدين ليس مكانا للعب، والله وجدت أثرين أو ثلاثة عن بعض السلف يقول: من شاء يلعب فل يلعب بما شاء ولكن لا يلعب بالدين. هذه الكلمة ما قلتها عن ذكاء ولا عن فطنة ولكن عن واقع أن هناك أناس يتلاعبون بالدين، كأن هذا الدين لعبة. مُهج أُهلكت وقتلت بسبب هذا الدين، الإمام أحمد كاد أن يموت بسبب كلمة طُلبت منه، حتى بالتورية وأبى أن يقول هذه الكلمة، علماء دخلوا السجون جُلدوا عُذِّبوا وصدعوا بالحق، نحن لا تعرضنا لجلد ولا لسجن، ومع هذا نداهن في ديننا، تجاهل من؟ تجاه الرجل ليس له سلطان، وليس له منزلة علمية، وليس له أي مكانة سوى أنه سيُبدعك أو

يقول أنك لست بشيء، **يعني**: ضعف اليقين أصبح اليقين لدينا الآن أن نظن أن السنة بيد فلان، ويقرب من قول بعض الرافضة وبعض النصارى الذين يعتقدون أنَّ الجنة بيد فلان، إذا كنت صادق ما يضرك ما قاله الناس فيه، إذا علم الله منك الصدق لا يضرك ما قال فيك فلان وما تكلم به فلان، أُصدق الله عَزَّوَجَلَّ، هذا التجرد هو سبب للتوحيد، وعدم التجرد سبب للحرمان، ولهذا ليس هناك شيء أخطر على طلاب العلم من الخروج على المنهج الشرعي، قد يخطئ الإنسان، وخطأه هذا مغفور لأنَّه سلك الطريق، ولكن الدخول في عدم الإنصاف وعدم التَّجرد للحق هذا من أعظم مسالك الضلال.

❁ **من أسباب الحرمان وعدم التوفيق: الجدل والخصومات**. وهذا حذر منه السلف كثيرا وهو موجود اليوم، بعض طلاب العلم إذا حصل شيئا من العلم أخذوا يتجادلون بالليل والنهار في المسائل حتى يُذهب الجدل بركة العلم ويعودهم على المنازعة والخصومات والشحناء والبغضاء حتى يُكرههم فيه، فإذا رأيت من يجادل ويخاصم لغير قصد شرعي فجانبه.

❁ **من الأمور التي صرفت الكثير من طلاب العلم عن العلم**، وهذا أمر شاع في هذا الزمن، أنَّ بعض طلاب العلم إذا سلك أول الطريق يُوَجّه أو هو يتوجه بأن يتبنى الردّ على المخالف، فهمّه الرد على المخالف، وقبل الرد على المخالف همه جمع كلام المخالفين، ماذا قال فلان؟ وماذا قال فلان؟ وماذا قال فلان؟ يعني حتى كأنه موسوعة في المخالفات، ثم بعد ذلك يُقال لهم ردّوا على المخالفين، فهذا كم صرف بعض طلاب العلم عن العلم؟ بسبب اشتغاله بهذا الأمر، وحتى لا يُصطاد في الماء العكر، أنا لا أنكر الرد على المخالف،

الرد على المخالف من أعظم أصول الشرع، كتاب الله تضمن الرد على المخالف، لكن من الذي يرد على المخالف؟ الذي يرد على مخالفة العلماء الكبار الذين ترسّخوا في العلم، وأما هذا الحدث لا يحسن الرد على المخالف، الإمام مالك كان ينهى عن الرد عن المخالفين، وما فصل، قال: لا يرد عليهم. ثم قال: أخشى أن يظهروا عليك فتكون فتنة. فإذا كان هذا الآن حدث ما الذي يُحسن الرد على المخالف؟ العلماء قالوا: كل مناظر عالم، وليس كل عالم مناظر، ليس كل عالم يستطيع الردّ على المخالفين، قد يوجد عالم الآن يشرح لك أحكام الصلاة ولا يُقصر فيها، لكن ما يستطيع أن يرد على الشبه في بعض المخالفين في هذا الأمر، هذا الرجل يشرح لك بعض الأسماء والصفات لكن لا يستطيع أن يرد على الجميع في شبههم، الرد على المخالفين لا يحسنه كل العلماء، وإنما يحسنه من تأهل لهذا الأمر، فكيف بهذا الحدث؟ كما يقال: فالسعيد من وعظ بغيره. والله نعرف أُناس بلغوا الآن الخمسين والستين وهم لم يحصلوا شيئا من العلم ولا يستطيع يكتب خمس ورقات، مع أنه يحمل الدكتوراه، لماذا لاشتغال بهذا الأسلوب؟ في حين أن بعضهم يمضي عشر سنوات في رسالة ولا يُتمها، هذا الأمر كم صرف هؤلاء الطلبة بدعوى الردّ على المخالف، الرد على المخالف منهج شرعي، ولكن يتصدى له العلماء، اطلب العلم واعرف الحق، ثم إذا عرفت الحق تعرف الباطل، وأنا قلت لهؤلاء الطلبة..، فأذكر منهجا شرعيا: هذا الدين لمّا بيّن الله لنا الدين، هل قص علينا المخالفات في القرآن أو بين لنا المشروع؟ حذَّر من بعض المخالفات، لكن جاء الحديث: «**الإِيمَانُ بِضعٌ وَسَبعُونَ**»، «**بِضعٌ وَسِتُونَ شُعبَة**» فالإيمان والأعمال الصالحة محصورة، المخالفات هل حُصرت في سبعين؟ بعض الكبائر قيل إنها تصل إلى سبعمائة كبيرة، هذا ما فصّله بعض أهل العلم،

فالباطل لا يمكن أن تُحيط به، ولا يمكن أن تحصره في كتاب، ولكن إذا عرفت الأسماء والصفات والمنهج الشرعي فيها تعرف المخالف، إذا عرفت التوحيد تعرف من خالف فيه، إذا عرفت أحكام الصلاة تعرف من خالف فيها، أما لو أُلِّف كتاب من عشرين مجلد، في أخطاء المصلين لم يستوعب أخطاء المصلين، لكن تستطيع في مئة صفحة أن تبين أحكام الصلاة.

إذن: المنهج الشرعي أن تطلب العلم وأن تترسخ فيه، وأن تجتهد وتكون ضابطا لعلمك في صدرك، متحدثا به مؤلفا إذا تمكنت من التأليف والكتابة لا بأس أن تتصدى لهذه الكتب، ترد على المخالفين بإخلاص ونية، أمَّا قبل التَّأهل فلا هو الذي حصَّل العلم ولا هو الذي ردَّ على المخالفين، **كما قال العلماء**: «لا للسنة نصروا ولا للبدعة كسروا».

يعني: ما كسر بدعة ولا نصر سنة.

أسأل الله التوفيق للجميع، هذا والله أعلم

وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

مُحاضرةٌ أُلقِيَت

بعد صلاة العشاء من يوم السَّبت

الرَّابع والعشرون من شهر ربيعٍ الأول

سَنَةَ ثلاثٍ وأربعينَ بَعْدَ الأَرْبَعِمِائَةِ وَالأَلْفِ

بجامع التوبة حي الدعيثة بالمدينة النبوية

❀❀